# قصصٌ عالميّة مُعاصرة

ترجمة
فدوى فاضل

اسـم المـؤلـف : عدد من المؤلفين
عنوان الكتـاب : قصص عالمية معاصرة
المتـــــرجم : فدوى فاضل
النـاشـــــر : المدى
الطبـعـة الاولى : سنة ٢٠٠٦
الحقوق محفوظة

Author: World Literature
Title: Short Stories
Translator: Fadwa Fadel
Al- Mada P.C.
First Edition : 2006
Copyright © Al- Mada

دار المدى للثقافة والنشر

سورية - دمشق ص. ب.: ٨٢٧٢ او٧٣٦٦ -تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ -٢٣٢٢٢٧٦-فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩

*Al Mada* Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria
P.O.Box . : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289
www.almadahouse.com E-mail:al-madahouse@net.sy

بيروت-الحمراء-شارع ليون -بناية منصور-الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٦-٧٥٢٦١٧
E-mail:al-madahouse@idm.net.lb

بغداد- أبو نواس- محلة ١٠٢- زقاق ١٣-بناء ١٤١
مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون - جانب فندق السفير
E-mail:almada112@yahoo.com

**All rights reserved. No parts of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system , or transmitted in any form or by any means ; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission, in writing, of the publisher.**

عدد من المؤلفين

# قصص عالميّة مُعاصرة

ترجمة
فدوى فاضل

# مقدمة المترجمة

تضم هذه المجموعة أعمالاً قصصية لواحد وعشرين كاتباً قصصياً، ممن كتبوا باللغة الإنكليزية، أو تُرجمتْ قصصهم إليها. بعضهم قَدمتُ له قصة واحدة، وبعضهُمُ الآخر قصتين أو ثلاثاً، ليكوّن القارئ فكرة متكاملة عن أسلوبه، ومنذ اللحظة التي بدأت فيها تجميع وإعداد القصص لتظهر في كتاب، عزمت أن يقتصر الإختيار على مؤلفين معاصرين، أغلبهم ما زالوا أحياء، تجمع بينهم مواضيعهم الحديثة وأساليبهم المميّزة في السرد، وهذا الشرط يشمل الراحلين منهم، وهم قلة، لكن الجميع ينتمون إلى عصرنا الحالي بأفكارهم، وأساليبهم، بينهم كتّاب لم يسمع القارئ العربي عنهم من قبل رغم أهميتهم، ورغم دورهم البارز في الأدب العالمي الحديث، مثل الأمريكي جون شيفر والأمريكية غريس بيلي، والقاصة نومافيندا ماثياني والكاتب ايفان فلاديسلافيتش من جنوب أفريقيا، وأحمد إيسوب من الهند، والعديدُ منهم حصل على جوائز أدبية مهمة، محلية أو عالمية، ومن أبرز هؤلاء الكاتبة الكندية إيفلين لو، التي حصلت على جائزة الحاكم العام الكندي على كتابها الأول، وكانت أصغر كاتب، على الاطلاق، ينال مثل هذا التقدير، اذ نُشرَ الكتاب وهي في السابعة عشرة من عمرها.

ورغم أنني ابتعدتُ تماماً عن أسماء كبيرة، تكررت في العالم

العربي على مدى الخمسين سنة الأخيرة، مثل تشيخوف، همنجواي، بورخس... وغيرهم، إلاّ أن المؤلفين الذين ضم هذا الكتاب بعض قصصهم، يمثلون في الواقع امتداداً لأولئك في محاولاتهم الدائبة لبلوغ النموذج الأمثل في السرد، القادر على تصوير النفس الإنسانية بعمق، وتجسيد همومها ومخاوفها وطموحها وعثراتها.

عليّ أن أذكر أيضاً، أن النصف الثاني من القرن العشرين، لم يكشف بعد عن جميع كتّابه، ليس للقارئ العربي وحده، إنما للقارئ الغربي أيضاً، وللأدب العالمي بشكل عام، لأن بعض الكتابات ما زالت، كما في كل عهد، مجهولة، هي وأصحابها، كونها لم تجد التقييم الكافي، أو لم تصل إلى النور كمخطوطات، أو قد تعرّض أصحابها إلى التعتيم.

في الأخير، آمل أن يجد القارئ، والكاتب العربي أيضاً، المتعة والمنفعة في هذا الكتاب، الذي جهدتُ في أن اوفّق في نقل نصوصه إلى العربية من خلال ترجمة تجمع بين الدقة في نقل المعنى، واللغة المعبّرة عما أراد المؤلفون تصويره، فقد عزّزت عملي هذا باللجوء إلى العديد من الموسوعات والمصادر الأدبية، ومن ضمنها شبكة الانترنت التي كانت تصلني بكثيرٍ من المعلومات والخلفيات المتعلقة بهؤلاء الكتّاب وأعمالهم.

**فدوى فاضل**

# إيفلين لو

ولدت إفلين لو في فان كوفر بكندا عام ١٩٧١، عاشت متشردة في الشوارع عامين، وفي السابعة عشرة من عمرها ظهرت روايتها الأولى (هروب.. يوميات طفلة الشارع) فحققت نجاحاً كبيراً وأصبحت من الكتب الأكثر مبيعاً. في عام ١٩٩٢ اعتبرت أصغر شاعرة على الاطلاق تُرَشح لجائزة الحاكم العام الكندية عن مجموعتها الشعرية الثانية (أحلام أوديبية). تكتب الرواية بالإضافة الى الشعر والقصة القصيرة.

رغم قسوة الحدث في هذه القصة، وصعوبة الأسلوب الذي لجأت إليه، فإن الكاتبة تسيطر على موضوعها وتخرج بحبكة متينة. إنها تضع نفسها الجريحة على بعد خطوات (كشخص ثانٍ غريب) وتتفحص سلوكها وحماقة رغباتها وألمها الناتج، وهما رغبات وآلام كثيرٍ من النساء.

# زجاج

وضعتْ قبضة يدها على اطار نافذة الغرفة. ما إن أعادت ذراعها إلى منتصف النافذة، حتى انزلق الزجاج فوق رسغها وراحة اليد، تماماً كما تنزلق السكين خلال لحم الدجاج الأبيض النيّء. الدم يملأ الجرح العميق وينضح منه، يتدفق إلى كل مكان، وهي تنظر إلى يدها المقطوعة. صوت تساقط الزجاج مع صفير الريح يملأ أذنيها، صوت الزجاج يلفّ في الليلة الحزينة. شظايا الزجاج ناتئة في رسغها، تلتقطها، تتركها تتساقط على الأرض.

تمشي إلى الحمّام وتضع يدها المقطوعة تحت الحنفية، مالئة الحوض بالدم المخفّف. تبتسم لنفسها، دائماً تبتسم عندما تشعر أنها منكسرة ومسحوقة، من دون أي شيء متبقٍ لديها غير الألماسة في صدرها. الألماسة التي لا يستطيع أحد اقتلاعها أو الاستحواذ عليها. الألماسة جميلة مثلها. تعرف أنها جميلة، لأن المرآة الحادّة الواضحة تخبرها ذلك.

مع أني أرى شخصاً ما في المرآة، ليس جميلاً، لذلك هي تكرهني. أنا الجزء الذي تريد أن تقتله فيها. حاولتْ من قبل، لكن ما لا تعرفه أنه لو لم تكن لي لماتت منذ زمن بعيد. لن أتركها تموت، حتى لو أنها لم تحبني، فلن أتركها تموت. ربما لهذا السبب تكرهني جداً. أنا الشخص

الوحيد الذي يبقيها مجتمعة، وكيف أستطيع المساعدة وأنا أرى عينين تقدحان شرراً ومسام جلدها عندما تنحني فوق المرآة.

اختلط الدم مع الماء في الحوض في خطوط راكدة. يمكنها أن تسمع تساقط الزجاج في شقتها، انتباهها دائماً مشدود إلى الأشياء البراقة اللامعة، ما إن يتشظّ الزجاج خالقاً اوركستراه الخاصة المميّزة حتى يملأها ذلك بالرهبة. تحبّ أي شيء براق، حقيقياً كان أو مزيفاً. حبّات الثريا. الألماس. كنز مدفون في خطوط بيضاء... تلفّ يدها بمنشفة، تنظر إلى الخرقة الزرقاء وقد تحوّلت إلى بقع حمراء. تعود إلى غرفة المعيشة وترى النافذة فماً مفتوحاً في الليل، يقطر زجاجاً.

أتمنى لو أنها ترفع التلفون وتتصل بشخص ما. أريدُ مساعدتها، لكنها ستفعل ما تريد أن تفعله، كعادتها دائماً. تحتاج إلى غُرَز، لكن القطع - جداً نظيف وعميق _لم يكن مؤلماً، إنها مرتعبة من الإبر العمياء التي تسبر عمق الجرح، ذلك أنها لا تخاف أبداً أي شيء غير عادي، لكنها تتطير من الأشياء العادية، حالة غريبة!

إنها جملة تناقضات، الحاجة والاعتداد بالنفس يتدفقان داخلها بحرارة، وعلى السطح هي البحيرة المتجمدة التي يتزلج عليها الآخرون. أعرف كل هذا. لا أعرف لماذا لا يمكنها سماع صوتي. أنا الشخص الوحيد الذي يمكن أن يحبّها من دون شرط أو قيد، لكنها مصرّةٌ على النظر إلى الخارج.

تقف، ممسكةً بيدها، قرب شلال الزجاج. تريد أن تكون بصحبة شخص متألق ومجنون وفنان مثلها. وتفكر هكذا، بابتسامة تقفز حول فمها وهي تدور، متفادية الزجاج المتناثر في الغرفة، يومض من السجادة

يغمز لها بالموت. تنحني وتلتقط بعض القطع، تمسّها بأناملها في حذر، لها انحناءات حادة، مهيّجة وخطرة.

أترون لماذا أقلق عليها؟. يدها توقفت عن النزف، لكني لا أحبّ الطريقة التي تتصرف بها في أوقات كهذه، عندما تبدو الخطوط البيضاء تحكم نسيجها حولها، عندما، وعيناها مغلقتان، ترى المقص منهمكاً بالقصّ، التقطيع والتقسيم. إلاّ أن الخطوط ليست المشكلة؛ المشكلة أنها مثل الطفل المولود حديثاً، الذي سيموت بدون لمسة. فقط ذراعاي يمكنهما أن تطوقا جسدها، وأحياناً، بشكل غريب، أريدها كلها لنفسي. أردتُ أن أكون فقط أنا وهي إلى الأبد. مثل الألماس. إلى الأبد. أستطيع إنقاذها في كل مرّة من جنونها. أستطيع أن أمسكُ شظاياها وأجمعها معاً عندما تسقط وتنفتح صدوعها. متى ما صارت تدور بقلق هكذا مشوشةً، أستطيع أن ألملم كل نجمة شاردة منها وأحميها.

تقف ساكنة، تفكر بـ ألِن بينما رقائق الزجاج تهمهم في الخلف. آخر مرة كانا معاً، اتكأتْ هناك تتطلع إليه مع ثقة كبيرة في عينيها. نظر إليها من الأعلى بدون ابتسامة، بلا رقة، في عتمة الثالثة فجراً.

رأت حرجاً وانزعاجاً على وجهه، رمتْ ساقها البيضاء على كتفه مثل رقبة البجع. ربما جمّدته هذه الثقة لأنه لا يستطيع مجاراتها. ربما لا يقدّرها لهذا السبب، ربما هو أيضاً يتوق للأشياء الأبعد مما يصل إليه منها، ويحتقرها لأنها تمنحه نفسها. ولكن أي شيء آخر يمكن أن تفعل؟. هو لم يتصل أبداً، من الليلة الأولى قال إنه يحبّها، سيتزوجها لو ..... لو لم تكن متطلبة كثيراً! لو لم تكن مجرورة إليه كثيراً إلى هذا الحدّ، محاولةً احتلال زاوية منه فقط لتقهر بها ظلمتها!. ألن يسمي نفسه تاجر

السراب. تليفونه يبدأ بالرنين كل صباح منذ الخامسة مع ممثلي بورصة نيويورك، يتمشى ببطء وهو يصفِّر متجهاً إلى سيارته الرياضية ليذهب إلى اجتماعات الشركة. عندما يأتي في الأمسيات ليأخذها، موسيقى الجاز تنبعث من الراديو، تأسرها شبكة النجوم وتترنح، تتأرجح مع سرعة السيارة. تلك الليالي عندما دفن رأسه في حضنها ساعات، عنف، قسوة، كانت دائماً تشعر كما لو أنه يحاول أخذها إلى مكان ما لم تألفه. ربما كان يبحث عن الألماسة في داخلها؟ لهذا أيضاً في ذهنها وخلف عينيها المغلقتين كانت تترآى لنفسها أكبر وأكبر، منذرةً بالتفرع، متجاوزةً جسدها، بقيتْ سليمة، وأظافرها تنشب بالأيدي التي فوق بطنها. ظلّ الصمت ينمو تدريجياً في أمسياتهما إلى أن توقفا عن الكلام تماماً؛ لسانه منهمك بالحفر، وهي تقاوم متطلبات جسدها.

لا، هي لا تستطيع الدوران على شفا عالمه المغري. أنا أرى ذلك، أرى كيف كان كل ذلك مستحيلاً، وكيف أنها يجب أن تتصل به بعدئذ، في وقت متأخر من الليل عندما شحبت الخطوط البيضاء وعليها أن تسرع في سيارة الأجرة السوداء مخترقة شوارع المدينة تنظر الى الأنوار الملونة والباردة. عندما وصلت أزعجني أنها كانت دائماً بهذا الشكل المزري، كانت دائماً تزحف وتتجرجر عند زواياه. قد يكونانِ أحبا بعضهما، قدّرا معاً الكميات المتساوية من النور والظلام لدى كل منهما، لو أنها لم تكن على حافة ما كانت تعتقد أنه الموت. ربما لو، لمرة واحدة فقط، لم تتصل به وتزري نفسها عندما تهمس "أحتاجك". لأن، ذلك هو الشخص الوحيد الذي يستطيع العيش مع مستوى آلامها، هو لم يختر ذلك. لا اعتقد أنه كان ممتلئاً بالاحتقار لها، بالضبط، كان فقط تلك المرّة، مرّة واحدة فقط،

كان يحب أن يرى ابتسامتها الحقيقية، وليس تلك الفراشات المجنونة التي ترفرف حول فمها. أعتقد أنه قد يستمتع بذلك. إذن ربما يستطيعان بناء شيءٍ ما معاً، من تلك الابتسامة.

لكنها تقف الآن بجانب فتحة النافذة، يدها ملفوفة برباط قطني، تصغي للموسيقى المنبعثة من الزجاج المتساقط. تتصور ألن في سريره، والجبال تذوب خارج النافذة، والمدينة تلملمت معاً وصارت مثل بركة تحت بلكونته. الريح تعصف بشقته، فوق كرات الكريستال على مكتبه، فوق نبتات البامبو، فوق كيس الماء الساخن. وهو قابع تحت الأريكة الوردية، مسرور بصمت التليفون، النجوم المتناثرة تجتاز أنفاس البامبو الأخضر، تجتاز ومضات الكريستال، قابعة حول الجبال.

تقف هناك، ممسكة يدها، خالية من الألم تراقب الزجاج المتساقط من النافذة على الرصيف في الأسفل، تتقافز مثل راقصي الإثارة في مواقع جميلة على جانب الممشى. وأنا أمسك بيدها وأخبرها أن هذه الطريقة أفضل، ذلك أنني الشخص الوحيد الذي تملك، الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يوفر لها الأمان. تنحني، والألماسة تبرق بتثاقل في صدرها، معافاة، وآخذ بيدها وأقودها بعيداً عن الموسيقى، تحت خط الزجاج الأبيض الناعم.

# غريس بيلي

أبرز ما نلاحظه في قصص غريس بَيلي شاعريتها الرقيقة. وهي تنظر إلى آلام الرجل والمرأة بنفس الحنان، رغم أنها نشطتْ في موجة الحركة النسوية (الفيمنست) لدى ظهورها بأمريكا في الخمسينات، وأغلب قصصها إرجاع لحدث معين، غيّر وجهة حياة شخوصها مرّة واحدة والى الأبد، ولغتها مركّزة، شفافة، ذات وقع شعري واضح، وهي تُكثر من استعمال الحوارات، حيث جزء بسيط من كلام الشخوص يكشف أسرار الموضوع الرئيسي للقصة. وعناوين قصصها، رغم طابعها الكلاسيكي، تشكّل عنصراً توضيحياً مهماً من القصة ذاتها.

في كتاباتها تبدو غريس بيلي مثل تشيخوف، عذاب نسائها عميق، لكن صراخهن قليل، وأعمالها الأولى طويلة، بالشكل الكلاسيكي، لكن اعتباراً من مجموعتها الثالثة تجرّب اللغة المكثفة في السرد، فلا يتجاوز بعض قصصها الـ ٣٥٠ كلمة، وبصمات حياتها الخاصة تظهر على جميع مواضيعها، وهي تعتمد أحداثاً بسيطة من الحياة اليومية.

ولدت غريس بّيلي في نيويورك عام ١٩٢٢ بحي مانهاتن الفقير، لعائلة مهاجرة من أصل روسي. تلقت تعليماً بسيطاً، ثم انهمكت في قراءة الأدب، وشاركت في الحركات السياسية المناهضة للحروب، خصوصاً حرب فيتنام.

# أمّ

أحد الأيام كنت أستمع إلى راديو الـ أي.أم. سمعت أغنية: "أوه، مشتاقة لرؤية أمّي على عتبة الباب". بالله! قلت، أنا أفهم حقاً هذه الأغنية. لطالما اشتقت لروية أمّي عند عتبة الباب. في الواقع كثيراً ما وقفتْ هناك بانتظاري. كحقيقة، كانت باستمرار تقف عند مختلف العتبات تنظر إليّ. يوما ما وقفتْ، هكذا، أمام الباب، خلفها ظلام المدخل. كان يوم عيد رأس السنة. قالت بحزن: إذا كنتِ ترجعين إلى البيت في الرابعة صباحا وأنت في السابعة عشرة، فمتى سترجعين عندما تصبحين في العشرين؟ بدأت تطرح هذا السؤال من دون مزاح ولا خشونة. لقد بدأ قلقها استعداداً للموت. ظنتْ أنها لن تكون حيّة عندما أصل العشرين. لذلك تساءلتْ.

في وقت آخر وقفتْ عند باب غرفتي. كنت للتو قد انتهيتُ من تحرير بيان سياسي أهاجم به الوضع العائلي في الاتحاد السوفييتي. قالت: نامي بالله عليك، أيتها الحمقاء، أنتِ وأفكارك الشيوعية. لقد رأيناهم منذ البداية، والدك وأنا، عام ١٩٠٥، توقعنا كل هذا.

عند باب المطبخ قالت، لم تنهي غداءك. تركضين هنا وهناك بلا وعي. ما الذي ستجنينه؟

ثم ماتتْ.

من الطبيعي أن أشتاق لرؤيتها بقية عمري، ليس فقط واقفة عند عتبة الباب، بل في عدد كبير من الأماكن - في غرفة الطعام، مع عماتي، عند النافذة تنظر في كل الاتجاهات خارج البناية. في الحديقة العامة بين أزهار الزينية والقطيفة، في غرفة الجلوس مع والدي.

جالسين على كراسي الجلد المريحة، يستمعان إلى موتسارت. نظرا إلى بعضهما بدهشة. بدا لهما كما لو أصبحا فوق ظهر القارب. كما لو أنهما تعلما للتو أول مفردات الإنكليزية. بدا لهما كما لو أنه للتو وبفخر أنهى اختبار استاذية علم التشريح الامريكية. بدا كما لو أنها انتهت للتو من تسوق حاجيات المطبخ.

أتمنى رؤيتها واقفة عند باب غرفة الجلوس.

وقفتْ هناك لدقيقة. ثم جلستْ بجانبه. كان لديهما جهاز تسجيل ثمين. كانا يستمعان لباخ. قالت له، تحدث معي قليلاً. لم نعد نتحدث كثيراً هذه الأيام.

أنا متعب، قال. ألا ترين؟ اليوم رأيت حوالي ثلاثين شخصاً. كلهم مرضى، كلهم يتكلمون، يتكلمون، يتكلمون. استمعي إلى الموسيقى، قال. اعتقد أنه كان لكِ صوتٌ جميلٌ ذات يوم. أنا متعب، قال.

ثم ماتت.

# الرجل الذي أخبرني قصة حياته

قال فنسنت: أردتُ أن أكون طبيباً. أردت أن أكون طبيباً من كل قلبي. درستُ كل عظمة، كل عضو في الجسم، لأي شيء وجِدَ؟ ولماذا يعمل؟.

في المدرسة قالوا لي: فنست، كُن مهندساً. ذلك سيكون جيداً. أنتَ تفهم الرياضيات.

قلتُ لهم: أريد أن أكون طبيباً. أنا أعرف كيف تتصل أعضاء الجسم. عندما يحدث خللٌ ما، سأعرف كيف أصلحه.

قالوا في المدرسة: فنسنت، ستكون حقاً مهندساً ممتازاً. أظهرت في كل الامتحانات أي مهندس جيد ستكونه. لم تظهر الامتحانات فيما إذا كنتَ ستكون طبيباً جيداً؟

قلتُ: اووه...، أنا متلهفٌ لأن أكون طبيباً. تقريباً بكيتُ. كنتُ في السابعة عشرة. قلتُ: لكن ربما أنتم على حقّ. أنتَ المدرِّس. أنتَ المسؤول. أعرف إنني صغير.

قالوا في المدرسة: وبجانب ذلك، أنتَ ذاهب إلى الجيش.

وبعد ذلك ... كنتُ أطهو الطعام. جهزتُ الأكل لألفي رجل.

الآن أنتِ ترين. لدي وظيفة جيدة. وثلاثة أطفال. هذه زوجتي،

كونسيولا. تعرفين أني أنقذتُ حياتها! انظري.. عانت آلاماً. قال الطبيب: ما هذا؟ هل أنتِ متعبة. هل كنت بصحبة عدد من الناس أكثر من اللازم؟. كم طفلاً لديكِ؟ ارتاحي الليلة، وغداً سنجري الفحوص.

في الصباح التالي اتصلتُ بالطبيب. قلتُ: يجب أن تجرى لها عملية على الفور. ألقيتُ نظرة على الكتاب. أعرف أين مكان الألم. أنا أفهم ما هو الضغط، من أين يأتي. أرى بوضوح العضو الذي يسبب المتاعب.

أجرى الطبيب فحصاً. قال: يجب أن تُجرى لها العملية حالاً.

قال لي: فنسنت، كيف عرفتَ؟

## في هذا البلد، لكن بلغة أخرى،

### عمتي ترفض الزواج من الرجال الذين يريد الآخرون أن تتزوجَ منهم

جدتي جالسة في مقعدها. قالت، عندما أستلقي في المساء لا يمكنني الارتياح، عظامي تدفع بعضها، عندما استيقظتُ هذا الصباح قلتُ لنفسي، ماذا؟ هل نمتُ؟ يا إلهي، لا أزال موجودة هنا. سأبقى في هذا العالم إلى الأبد.

كانت عمتي تسوي الفرش. انظري، جدتك، لا تعرق. لا شيء من ثيابها يحتاج إلى غسيل، جواربها، سراويلها، الأغطية. من هذا لا يمكن أن تصدقي أية حياة عاشت. لم تكن حياة. كانت عذاباً.

ألاّ تحبنا؟ سألتُ.

تحبكم؟ قالت عمتي. أي شيء يستحق هذا؟ أنتم الأطفال. ابن عمك في مدينة كونيكتيكت؟

إذن، ألا يجعلها هذا سعيدة؟

قالت عمتي، آه، ماذا رأتْ!

ماذا؟ سألتُ. ماذا رأت؟

في يوم ما سأخبرك. شيءٌ واحدٌ أقوله لكِ الآن. لا تحملي الراية الكبرى. عندما تكبرين، وتكونين في مسيرة أو اضراب أو ما شابه. يجب أن لا تكوني من يحمل الراية، ليكن أي شخص آخر.

هل كان السبب لأن روسّيا حمل الراية؟

لأنه كان ولداً رائعاً، في السابعة عشرة فقط. جدتكِ بنفسها حملته من الشارع، كان ميّتاً. أخذته بالعربة إلى بيته.

وماذا بعد؟ سألتُ.

دخل أبي ومشى باتجاه الغرفة. قال، على الأقل هي عاشت.

ألم تعشْ أنتَ أيضاً؟ سألتْ عمتي.

بعد ذلك أخذت جدتي يدها. سونيا. السبب واحد إنني لا أغمض عيني في الليل. أفكرُ بكِ ..أنت تعرفينه. ماذا سيكون؟ ليست لكِ حياة حقيقية.

جدتي! سألتُ. وماذا عنا نحن؟

تنهدتْ عمتي. صغيرتي. عزيزتي تعالي نتمشى قليلاً.

في العشاء،لم يتكلم أحد. لذا، سألتْها مرّة أخرى. سونيا، قولي لي نعم أو لا، هل لكِ حياة؟

هاً! قالتْ. إذا أردتِ حقاً أن تعرفي، اقرأي ديستويفسكي. فضحك الجميع وظلوا يضحكون.

أحضرتْ أمّي الشاي والحلوى.

قالت جدتي في وجوهنا، لماذا تضحكون؟ لكن عمتي قالتْ. اضحكوا!

# ساندرا سينيروس

كاتبة أمريكية معاصرة، تعرض في هذه القصة من خلال عيني طفلة ووعيها، شريحة من مساوئ المادية التي ينساق وراءها الإنسان، بسرد معقد لكنه حيوي في رسم أبعاد الشخصية. صدرت ضمن مجموعة "قصص قصيرة معاصرة عن الطفولة" عن دار فيبر آند فيبر.

# صديقتي لوسي التي تفوح منها رائحة الذُرة

لوسي انغيانو فتاة تكساس التي تشبه رائحتها رائحة الذرة، مثل بطاطس فريتو باندیتو، مثل كعكة الذرة، شيء مثل دفء الرائحة المنبعثة من الخبز الحار تفوح رائحة شعرها عندما تميل بقربكَ فوق الدمى الورقية أو في الرواق عندما نقرفص على الرخام تشتري هذه الكريستالة الجميلة التي تترك نجمة زرقاء في يدكَ من هذا الفص الضخم مع الجندب الأخضر المتقوقع في المركز مثل عصارة البَقّ فوق الزجاج الأمامي وأنتَ تقود باتجاه الحدود، مثل دم الفراشات الأصفر.

"هل حدث أنكم اكلتم طعام كلاب؟. أنا أكلتُ". مثل قرمشة الثلج، فتحتْ فمها الكبير لتؤكد قولها، فقط لسان وردي يتطوّى هناك مثل دودة عمياء، وكانت جيني تنظر في الداخل لأنها قالت: "أريني.."، لكنني أحبّ لوسي تلك، رائحة شعرها التي تشبه رائحة الذرة، ونعلها الاسفنجي، مثل نعلي ذاك الذي اشتريناه معا من (كي مارت) بتسعة وسبعين سنتاً.

سوف أجلس في الشمس، لا يهمني إذا كانت درجة الحرارة في الخارج مليون مليار درجة، زرقة جلدي ستصبح اغمق عندما يتثنى، مثل

جلد لوسي. كل عائلتها كذلك. أعين لوزية مثل شق السكين، لوسي وأخواتها. نورما، مارجريتا، اوفيليا، هرمينيا، نانسي، اوليفيا، تشيلي، إي لا أمبرسو.

الباب الحاجز الخالي من منخله. بانغ! الكلب الأسود الصغير عاضّاً على فروته. مقعد ضخم في الرواق. بعض النوافذ مطلية بالأزرق وبعضها وردي، لأن والدها تعب ذلك اليوم أو ربما نسيَ. الأم في المطبخ، تضع الملابس في آلة التجفيف بعد إخراجها من الغسالة، فتظهر من الجهة الأخرى صلبة مشوهة ومسطحة مثل الورق.

مرّةً انحشرتْ فيها ذراع لوسي فصرخت: ماما ! وكان على والدتها أن تدير آلة التجفيف بالاتجاه المعاكس وبعد ذلك لفّت يدها إلى الخلف، الاصبع اسودٌ وفيما بعد سقط أظفرها. "لكن هل أصبحت ذراعك مسطحة؟ مثل الملابس؟ ماذا حدث لذراعك؟ هل نفخوها بالهواء؟ لا، الأصبع فقط". وهي حتى لم تبكِ.

اتكئ على سور البلكونة واشبكْ جوارب الصغيرة أمبرسو الوردية فوق قميص تشيلي الملوّن، وجينز اوفيليا الأزرق فوق بلوزة اوليفيا، فوق منامة مارجريتا القطنية لذا فلن تنَمَطّ ، وبعد ذلك تأخذْ قمصان عمل أبيهنّ وتعلقها بالمقلوب هكذا، وبهذه الطريقة لن تتجعّد الملابس وتأخذ مجالاً أقل ولن يضيع الوقت بنشرها. كانت البنات يرتدين ملابس بعض، عدا ملابس اوليفيا المتعجرفة. لا يوجد أولاد، فقط بنات وأب واحد يندر تواجده في البيت وأم واحدة تردد: "آه، أنا فعلاً متعبة"، فإذن العديد من الأخوات لا وقت لعدّهن.

أجلس في الشمس حتى في أكثر فترات اليوم حرارةً، الفترة التي

تجعل الشوارع دائخة، عندما تصنع الشمس قبعة صغيرة على رأسك، وتخبز الغبار والعشب وتنضجهما جيداً. البخار ينبعث من كل شيء وتفوح منه رائحة كرائحة الذرة الحلوة.

أحبّ أن أحتكَّ برؤوس أخرى وأنام في السرير مع أخوات صغيرات، بعضهن في قمة السرير وبعضهن عند الأقدام. اعتقد سيكون لطيفا النوم مع أخوات. أن تهتفَ مع واحدة في أي وقت أو أن نصرخ معاً، بدلاً من أن تنام وحدك على الكرسي المطوي في غرفة المعيشة.

عندما أعود إلى البيت ستقول ابيوليتا: "ألم اقل لكِ؟". وسوف أفهم حيث يتعين أن البس هذا الفستان غداً أيضاً. لكن عليّ أولاً أن أقفز من فوق الفرشة القديمة المليئة بالبول في فناء دار أنغيانو. سأحكُّ لكِ لسعات البعوض، لوسي، فتتهيج، ثم ترسمين عليها بالميكروكروم (المعقم) وجهاً باسماً. سنشتري أحذية ونلبسها بالأيدي. سنتمشى إلى بيت جيني اورتيز ونقول لها: "إننا لن نكون صديقتيْك بعد اليوم ابداً!". سنعود إلى البيت راكضات إلى الخلف والى الأمام، ننظر مرتين تحت البيت حيث تختبئ الجرذان وسوف أدخل قدمي هناك لأنك علمتني الجرأة ، السماء جداً زرقاء، والجنّة داخل تلك الغيوم البيضاء. سأقشر الجرب من ركبتي وآكله، أعطسُ على القطة، أعطيكِ ثلاث قطع شوكولاتة احتفظتُ بها لكِ من الأمس، أمشط شعركِ بأصابعي وأجمعه في جديلة صغيرة جميلة حقاً. سنلوّح للسيدة التي لا نعرفها في الباص. هاللو! سأتشقلب على سور البلكونة الأمامي حتى لو ظهر سروالي. واقطع دُمى الورق التي رسمناها معاً وألوّن ملابسها بأقلام الشمع الملونة، ذراعي حول رقبتك.

وعندما ننظر لبعضنا، أذرعنا لزجة من البرتقالة التي شققناها، ربما نكون شقيقات، أليس كذلك؟ ربما، قد ننتظر، أنتِ وأنا، أن تسقط أسناننا والنقود.

ضحكاتكِ، شيء ما يدغدغني في أذني، وأنا سوف ها ها ها ها. هي وأنا، صديقتي لوسي التي تشبه رائحتها رائحة الذرة.

# كيث فريزر

كاتب كندي، ولد عام ١٩٤٤ . نشر الكثير من أعماله في العديد من المجلات الأدبية، وكان يطلق عليه لقب أفضل كاتب غير معروف. صدرت له مجموعتان قصصيتان، (نزع الغطاء) عام ١٩٨٢ و(شؤون خارجية) عام ١٩٨٥ التي رشحت لجائزة الحاكم العام، وروايته ( علم التشريح الشعبي) فازت بجائزة بي سي عام ١٩٩٥ . بالإضافة إلى انطولوجيا (الرحالة المحظوظون: أسوأ رحلات الكتّاب). وهو يعيش حالياً في مدينة فانكوفر.

# قاموس روجيه

لقد بدأتُ ارتّب قوائمي. أمّي كانت دائماً تقول: "بيتر، لماذا لا تلعب في الخارج مثل الأولاد الآخرين؟" صبرها مع هواة التجميع ليس وافراً، لا تتفهم ولعي بهذه الهواية. أردت أن أصقل الكلمات مثل الأصداف، قبل أن أضعها في الداخل. أحياناً أربط مقاطع صغيرة من سلسة لأتابعها وهي تترنح، تطقطق ربما، مثل الكستناء. كانت كنوزاً تلك الكلمات. لو أكلتها لحصلت على بلاغة لم توجد من قبل، ولا حتى بعدئذ، لتعني الندم. أحببت رائحتها المميزة، رائحة الحبر المستخلص من الفحم. استنشاق دفتر ملاحظاتها الرخيص جعلني أفكر بالنار. (انظر توهج)*. انشغلت بالصوت والمعنى. قد لا توجد كلمات حتى ضمن آلافها الى أن أصنع منها شيئاً على الورق: مقبض شعر، لازورد، أسنان، خطاف السمك، نحل ميت ... فيما بعد صارت دراستي متحفاً للأسلحة القديمة استخدمها الشعراء. أمّي ماتت. بعد ذلك، بالتأكيد كانت ستُسّر أني كبرت لأصبح كما أحبّتْ، دكتوراً.

زوجتي الشابة ماتت بورم بحجم التفاحة. إن كوني الطبيب المعالج بدا أمراً سخيفاً. خنقني مثل ضباب كثيف، موتها، نداوة أنفاسها الأخيرة. عَمِّي عندما ماتت زوجته، قطع حنجرته بالشفرة. (انظر يأس،

* الهوامش وضعها القاص بين قوسين داخل النصّ ، ليرجع بها القارئ إلى قاموسه الوهمي .

جنون، نهاية). مات، غير مصدق، بترياق اللغة. أوه، زوجتي، عندي فقط الكلمات لألعب معها.

عندما تقاعدتُ كان ذلك بسبب الطرش. رغبتي بالترحال انقضت، إحساسي بالواجب تجاه الفقراء نضب، أتذكر الأصغاء للكلمات في كل مكان. في المجمع، عند موت أسقف ملبانك، بعد الكونسيرت، في الجمعية الملكية، خلال خطبة الوعظ في سانت بنكراس. بدأت أتماسك. أخيراً، أستطيع أن أصف ـ لا أكتب وصفة طبية*. بعد خمسين سنة استنتجت مرادفات مختصرة، غير موجودة، كانت فقط كلمات تناظرية. ليس مثل دكتور جونسون، أنا لم أكن شاعراً. كتابي سيكون أداة الفلاسفة، قاموس الاستعارات.

إسهاماتي كانت حول العلاقات. أوجدت عائلات خارج نطاق أفكار مثل فضاء، مادة، وجدان. جمعت كلمات بألف طريقة تحديداً: تعريف أبناء العمومة، إعادة تنسيب الشقيقات، مصادقة الخراف السوداء، التوسط بين الأعداء. طبعت أسماء أماكن ونظمت مأدبة.

لم تشهد لندن أبداً مثلها. متمردة حمقاء كلماتي، مفعمة برائحة التصنيف. كانت أمّي مرتاحة بعيداً عنها.

هي تعرف كياستي وأخلاقي، أوراقي عن البصريات، علم التشريح المقارن، الفقراء، علم الحيوان، عمر الانسان، الرياضيات، الخرس والطرش. كنت رجل نهضة، إذ أني مضغت كل ما قضمت. ومع ذلك لم تكن قناعتي برسالتي حول الجسور المائية، بوضع تصميم لكل التاريخ الطبيعي؛ أكثر من تقريري لدائرة المياه عن التلوث في التَيمز. فقط أقل تشاؤماً. مع الوقت الكوليرا الآسيوية انتشرت وصار الناس يتقيأون وأصيبوا بالإسهال، عملي كان قد نُسي. الى أن وُلد القاموس الذي

* طباق بين كلمتي . Describe not Prescribe

حلمتُ بإنجازه. من يدري، ربما شعراء مجانين سيصبحون بغايا روجيه، عندما يكتشفون ولعه بالحقيقة وليس بالبلاغة.

ظهر كتابي في نفس السنة التي صدرت بها كتب ديكنز، هوثورن، ملفيل ـ كلنا ناسجو خرافات. (انظر كلمة رواية). حلمت كثيراً بوحدة وجود الانسان، وقدمت أداة لمهاجمة المنطق الزائف، الحقائقية، تقانة اللغة، السفسطة. فإذاً، أي صوت غير شجي يستطيع الغناء اذا كانت الكلمات دقيقة مثل الملاحظات. الرجال في موقع قوة غالباً متنافرو الصوت. الموسيقى ليست حادثاً ولا ذاكرة تاريخ. لغة (مثل الكلمات) يلزم الكثير من الوقت لتعلمها.

لا توجد لغة، دائماً أقول لأمي، مثل لغتنا. انظري كيف تعتمدها الأمم التي استعبدناها. انها الجسر الذي استعملناه لجلب المهارات، البهارات، أوراق التبغ والقرفة. وبعد، كل ناقد كتب عن أعمالي أنه "جعل البلاغة سهلة جداً على الكسالى والجهَلة". كنت دائماً مرتاباً بالبلاغة. ربما لذلك أُعيد طبع قاموسي ثمانياً وعشرين طبعة.

الرجال حيوانات غريبة. لم أشعر أبداً بينهم بالارتياح كما بين كلماتهم، بدون ذلك فإنهم قرود. (انظر كلمة الحقائقية). اليوم التالي كنت أشتغل على كتابي وأربكني أني وجدت كلمات عدم الاستحسان أكثر من كلمات الاستحسان. لم هذا؟

لذا فقد قضيت يومي الأخير في ويست ملفيرن في سنتي الحادية والتسعين. لم أعد اتمشى في الحدائق. أنا مسرور أني أخاف الموت فذلك يشعرني أنني أصغر. الموت هو فصاحة الشعراء التي تنزع الرضا من أدمغتهم. (انظر اغنية البجع، انظر عبور الحاجز، انظر المغامرة الكبرى) لم أفكر أبداً في الموت لكن ذلك صقلني.

# روث توماس

كاتبة بريطانية، ولدت في مقاطعة كنت عام ١٩٦٧ وتعيش الآن في أدنبره. مجموعتها القصصية الأولى (وشم غول البحر) صدرت في ١٩٩٧ عن دار بوليكون. القصة الحالية من (كتاب فلامنكو للكتابة الاسكتلندية الجديدة).

# ثعلب جميل

ضوء القمر يتسلل عبر الستارة، لكنه لا يوقظ العجوز. كان في الأصل مستيقظاً، إلاّ أن حديثاً يدور في رأسه. "هذه الليلة حارة يا عزيزتي" يقول لزوجته. "حرّ. لا أستطيع النوم".

"حسناً، إنه تموز" تقول زوجته. "يجب أن تزيح البطانية عن السرير". "نعم"، يقول. "يجب أن أفعل ذلك"، لكنه استلقى هناك فحسب، في المربع الذي كونته أشعة القمر، وعيناه مفتوحتان.

نهض من السرير بعد فترة، سحب رباط بيجامته ومشى الى الصالة. شيء مستهجنٌ جداً في هذا الوقت من الليل. أرفف الكتب على جانبيه مثل منحدر شاهق، بارد وبائس. النباتات فوق الأرفف تمدّ أوراقها مثل براثن حيوان مفترس. قدماه عاريتان وألواح الأرضية مصقولة وباردة، لكنه يحسّها أفضل هكذا، فيتجنب الأخرى التي تحدث صريراً. يمشي بشكل متعرج الى المطبخ، وزوجته لا تزال تتحدث "لم لا تصنع لنفسك فنجان شاي؟" تقول. "سيجعلك تشعر بالتحسن". يشعل ضوء المطبخ ويأخذ الإبريق الى الحوض. على الحائط معلّقة صورة مقلاة وبعض البصل، تعاود الظهور كل بضع خطوات تقريباً، مثل كابوس متكرر. يحدّق في الصورة بينما الماء يتدفق من الحنفية.

ثمة صوت في الخارج، كلب ينبح، أو ربما ثعلب. الثعالب تأتي الى المدينة هذه الأيام، مع انها تظهر عادةً في الأيام الباردة من الشتاء. تأتي لتبحث عن الطعام. هو وجيسيكا رأيا ذلك الثعلب مرةً، في ليلة من ليالي كانون الثاني، ينساب فوق الجليد، كان جميلاً، بقيا واقفين، ذراعاً لذراع، ماسكي أنفاسهما، ينظران. برتقالي مع أبيض. ذلك المساء كان الثلج قد بدأ يتساقط ليغطي المدينة كلها. يتذكر كيف نظر إليهما الثعلب، كيف أدار وجهه الحاد ناحيتهما.

يفتح العجوز الخزانة وينظر الى علب الشاي. يوجد كثير منها. "أيّاً منها سآخذ؟" يقول. "هل آخذ شاي الليمون المنشّط؟ هل أنا بحاجة لأن أنشط في الرابعة إلاّ ربعاً صباحاً؟. أو شاي الورد والتفاح؟ أو شاي النعناع؟". ابنته طبخت المكرونة بالثوم ليلة أمس. والثوم لا يناسبه. جعله يشعر بالضيق في منتصف الليل. يعتقد أن شاي النعناع سيكون الأفضل لمعدته، لكن الشاي العادي، أفضل لذهنه ولقلبه. يخرج الفنجان، وعندما بدأ الماء يغلي، يضع كيس الشاي ويحركه. يحبّ شايه ثقيلاً وغامقاً، ليس كالذي تصنعه ابنته، مجرد سائل أبيض "هذه أرض الحليب والماء" تقول زوجته، لكن لا، ليست زوجته، هو يقول ذلك، زوجته تحبّ الشاي الخفيف.

كل شيء يبدو صاخباً في هذا الوقت من الصباح، حتى الارتشاف، حتى الهدوء يبدو صاخباً. الثلاجة تطنّ في نومها، في واحد من أحلامها الغريبة المتجمدة، تجعله يقفز. يسقط الشاي على الأرضية. "هالو!" يقول، لكن لا جواب. زوجته ليست هناك بعد الآن، ذهبت مرة أخرى. فجأة، دون أن تخبره، فقط غابت بعيداً. "عودي" يقول. لكن الصمت.

كل مرة تختفي يخاف ألاّ تعود. الهواء البارد ينساب داخل قميص بيجامته، مع أن النافذة مغلقة. الزجاج أسود، أسود، عاكساً لا شيء. يتمشى العجوز مع شايه في غرفة الجلوس. غرفة المعيشة كما يسميها زوج ابنته، لكن زوج ابنته لا يعيش فيها. "صحيح" يقول العجوز لجهاز تسجيل الأغاني في الزاوية، لصف الاسطوانات، لصورة القوارب في الميناء. "ماذا أفعل الآن؟" يقول. يستطيع أن يسمع النوارس تزعق فوق السطح. دائماً تتواجد النوارس هذه الأيام في أوقات الليل، كل مرّة صراخها يبدو جديداً. ينظر عبر النافذة ولا يستطيع رؤيتها لوهلة، النوارس، لكنه يراها بعد ذلك، إنها تقف ضخمة وضارية فوق سطح السيارة. "متعب من عجلة سيارتك؟ مختنق من العادم؟ دعنا ننعشك"، هل قيل ذلك في إعلان؟ نعم، هو يعتقد ذلك. "وآآق" يقول النورس، ثم يرفع جناحيه الرماديتين ويطير بعيداً. السماء ملبّدة بالغيوم لكن الجو سيكون حاراً غداً، يستطيع أن يحسّه.

عندما يستدير يرى امرأة تقف عند المدخل متلفعة برداء بيتي أحمر تلفّه حول جسدها كما لو كانت تشعر بالبرد.

"أبي؟" تقول المرأة؟

"صنعت لنفسي فنجان شاي فحسب" يقول العجوز. "هل أنت بخير, أبي؟" تقول المرأة. "سمعتك تتحدث لأحدٍ ما" تقول.

تمشي باتجاهه. لها عينان لطيفتان، بنيتان، بنيتان مثل الشوكولاته. يحبّ ابنته، لكنه أحياناً لا يتذكر اسمها.

"أنتَ تبكي" تقول.

"لا" يقول. "لا، أنا لا أبكي. هل تذكرين عندما ....؟"

"ماذا ؟" تقول.

"الثعلب" يقول. "هل تذكرين عندما رأينا الثعلب؟ ذلك الشتاء؟" .

"يجب أن تكون في الفراش" تقول. "أنت متعب".

"لا" يقول، "لقد كان جميلاً".

"أنا أذكر أنكَ وأمي أخبرتماني عنه" تقول المرأة. "أتذكركَ جالساً عند حافة السرير وتحدثني عنه".

"نعم" يقول. "كان ثعلباً جميلاً".

"دعني آخذك الى الفراش" تقول ابنته وهي تضع يدها على ذراعه.

ثمة أشياء يريد أن يعرفها. لماذا هو هنا. يريد أن يعرف ذلك. أين هو أيضاً. يدرك أنه لا بد أن يكون قريباً من البحر. هذه البداية. "سأخرج لدقيقة فقط"، يقول. "لا أريد سوى الخروج قليلاً".

"لكنك ترتدي البيجامة فقط" تقول المرأة. "وإذا ؟" يقول ويتعجب منذ متى كبرتْ؟ يمشي بسرعة في الصالة التي تفوح بمعطّر الجو ورائحة الثوم، رائحة غريبة، تجعله يشعر بتوعك. يدير القفل ويفتح الباب. يتنفس. ثمة ضوء في السماء، هادئ، وردي خفيف، والنوارس تحلّق الآن جماعات، عائدةً إلى الساحل، تبدو كما لو أنها تسحب معها ستارة كبيرة غامقة أينما ذهبت. الحديقة تفقد كل شيء في منتصف الليل، كآبتها، ومربع أصفر يظهر فجأة على الممر. هذا يعني أن الرجل، زوج ابنته في الأعلى، في الأعلى يشعل النور. سوف ينزل بعطرِ ما بعد الحلاقة. "بسرعة" يقول العجوز.

"ماذا تفعل؟" تقول المرأة. تقف خلفه ممسكة بكوعه. اللعنة، يبدو كما لو أنه سيقع مغشياً عليه. الرجل العجوز لا يردّ. يحدّق في

الأعشاب الخضراء في آخر الحديقة. في الأعلى صوت ماء يجري، وراديو، الراديو يغني:

ماذا يمكننا أن نفعل مع البحّار السكران
ماذا يمكننا أن نفعل مع البحّار السكران
ماذا يمكننا أن نفعل مع البحّار السكران
في هذا الصباح الباكر؟

"نعم.." قال العجوز، "إنه هناك".

يقول فجأةً، إنه يمشي مثل عصير السكّر بين القصب. لا صوت. ثعلب برتقالي صغير. "رأيت؟"..قال. "أترين حيث أشير؟"

"أين؟" تقول المرأة، لا جدوى من محاولة ايقافه الآن. تتذكر الطريقة التي كان يشير بها إلى الأشياء عندما كانت صغيرة، كيف كانت تنظر إلى السماء على امتداد ذراعه بالبلوزة الزرقاء، محاولة أن ترى ما رأى. نسيتْ ذلك: كم من الوقت قضت معه، محاولة أن تحدّد الأشياء عبر المسافات. "آه..نعم" تقول. "استطيع أن أراه" أيّاً كان، فَراشة أو طائراً مفترساً. وغالباً ما تدّعي، فقط كي لا تبدو بلهاء.

"هل ترينه الآن ؟" يقول أبوها، وهو لا يزال ينظر إلى شيء ما بين أوراق الأشجار. "أين؟" تقول. تتبع امتداد ذراعه لكن نظرها ليس جيداً في الظلام حتى إنها بصعوبة تميّز البوابة، أو المنزل المقابل. عليها أن تكذب مرة أخرى لتسعده، ستدّعي أنها شاهدت حيواناً يتحرك بسرعة، مخلوقاً ما بعينين متوهجتين. "انظري هناك" يقول أبوها، وتبتسم هي. لا شيء هناك. تحدّق في خمائل الورد. "أبي"، تقول، وتتنهد لأنها تحاول التفكير بشيء ما آخر لتقوله، شيء لا يزعجه أو يربكه أو يجعله حزيناً،

ويصعب عليها جداً أن تراه هكذا، الحالة التي هو عليها الآن، تتنهد لهذا السبب، عندما تسمع أمها تتحدث. فجأة، للمرة الأولى منذ أشهر، تستطيع أن تسمع أمها تتحدث ببطء كعادتها. "عزيزي" تقول، "عزيزي"، والكلمات واضحة جداً. افتقدتْ صوت امها أكثر من أي شيء آخر.

"هل ترينه؟"، يقول أبوها. "ثعلب جميل"، وعلى وجهه دمعة، تجري متعرجة. هناك صوت زوج المرأة في الأعلى، يصفق الباب وينزل السلم، وقبل أن يصل الصالة ويسأل ماذا يفعلون، يقف هناك تاركاً الهواء يدخل، تقول "نعم، نعم أستطيع" لأن هناك ثعلباً بالتأكيد، تستطيع أن تراه الآن، يهرب بعيداً عن البيوت، شيء ما لامع وجميل.

# اكتافيو باز

ولد اكتافيو باز في المكسيك عام ١٩١٤ لأم اسبانية وأب مكسيكي. صدرت له أول مجموعة شعرية (قمر الغابة) عام ١٩٣٣ وهو لا يزال في الجامعة. وفي زيارته لاسبانيا عام ١٩٣٧ كتب (تحت ظلك الجليّ وقصائد أخرى) والتي أظهرت براعته وقدراته الشعرية الواعدة. صدر له بعد ذلك (حجر الشمس) عام ١٩٥٧ والتي يستلهم بها الميثولوجيا الازتكية في موضوع وحدة الانسان وبحثه عن الآخر. بعد ذلك صدر له (الحالة العنيفة) و (منحدر الشرق) و(خائن العهد).

من عام ١٩٦٢ الى عام ١٩٦٨ عمل سفيراً لبلاده في الهند، ثم استقال من منصبه احتجاجاً على المعاملة الوحشية التي مارستها حكومة المكسيك ضد الثورة الطلابية عام ١٩٦٨ .

عمل بعد ذلك مدرسا في جامعة كيمبريدج البريطانية ثم جامعة هارفارد الامريكية، وخلال ذلك ظهر له كتاب (اقتران وانفصال) وكتاب (مكسيك أخرى) عام ١٩٧٢، والذي أوضح فيه سبب استقالته من منصبه كسفير. بعد ذلك عاد ليمثل بلاده في كل من فرنسا وسويسرا واليابان.

حصل على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٩٠ وكان بذلك أول كاتب مكسيكي يحصل على هذه الجائزة، وتوفي عام ١٩٩٨ .

# باقة زرقاء

استيقظت مغطى بالعرق. بخارٌ حارٌ يرتفع من الساحة المرصوفة بالطابوق الأحمر ، والمرشوشة بالماء حديثا. فراشة رمادية تحوّم حول ضوء المصباح الأصفر. قفزتُ من ارجوحتي واجتزت الغرفة حافياً، حذراً ألاّ أدوس عقرباً غادر مخبأه من أجل بعض الهواء المنعش. ذهبت الى النافذة الصغيرة واستنشقت هواء البلد. يستطيع المرء أن يسمع تنفس الليل، العذوبة، والبشاعة أيضاً. عدتُ الى وسط الغرفة، أفرغت جرّة الماء في الطست وبللت به المنشفة. فركت بها صدري وساقيَّ. جففت نفسي قليلا، وارتديت ملابسي بعد أن تأكدت من عدم وجود بعوض بين طياتها. نزلت السلالم الخضراء مسرعاً. عند الباب ارتطمت بالأعور،صاحب النزل، كان صامتاً جالساً على مقعده الخشبي المجدول من السعف، يدخن وعينه الوحيدة نصف مغلقة. سأل بصوت يشبه جمجمة الحصان:

- أين تذهب؟

- سامشي قليلاً .. الطقس حار جداً.

- إمـ مـ مم .. كل شئ مغلق الآن، والشوارع معتمة. الأفضل أن تبقى. هززتُ كتفي بلامبالاة، وقلت متذمراً: "سأعود بسرعة"، ثم ولجت

في الظلام. في البداية لم أتمكن من رؤية أي شئ. تلمست طريقي عبر الشارع المرصوف بالحصى والأحجار الصغيرة. أشعلت سيجارة، وفجأة لاح القمر من خلف غيمة سوداء، ليضيء الجدار الأبيض المتآكل وبعض أجزائه المفتتة. توقفت، ملتمساً بعض الضوء. ريح خفيفة تصفر بهدوء، مشبّعة برائحة التمر الهندي، همهمة الليل مليئة بحفيف الأغصان والحشرات. الجداجد المختبئة بين سيقان الأعشاب الطويلة. فكرتُ أن العالم من حولي مكوّن من نظام هائل من الاشارات، أحاديث ونقاش بين مخلوقات عملاقة. انفعالاتي، نظرات الجداجد، بريق النجوم، لم تكن شيئاً، سوى وقفات ومقاطع صغيرة وعبارات مبعثرة من ذلك الحوار. ما هي الكلمة التي كنتُ فيها مجرد مقطعٍ صغيرٍ ؟ من نَطقها ؟ ولمن قيلتْ؟ رميت سيجارتي على الرصيف. سقطتْ، راسمة منحنىً نارياً لامعاً، قاذفة بعض الشرارات مثل مذنب صغير.

رحتُ أتمشى ببطء ، يملأني شعور بالحرية، بذلك الأمان بين الشفاه التي كانت تتحدث إليّ بفرح في تلك اللحظة، فقد كان الليل حديقة من الأعين. بمجرد عبوري الشارع، سمعتُ خطى شخص ما قادم ورائي. استدرت، لكني لم استطع تمييز أي شيء. أسرعت. بعد لحظات قليلة، سمعت خطوات صندل تراوغ بتثاقل فوق احجار الرصيف الساخنة. لم أكن أريد الاستدارة الى الخلف، مع أني صرت أشعر بالظل يقترب أكثر مع كل خطوة. حاولت الجري. لم أستطع. فجأة توقفتُ للحظة. وقبل ان اتمكن من الدفاع عن نفسي، شعرت برأس السكين في ظهري، وصوت رخيم:

لا تتحرك ياسيد، وإلاّ غرستُها في ظهرك. بدون ان أستدير سألت:

- ماذا تريد؟

- عينيك يا سيد. ردّ الصوت الرخيم، الهادئ.

- عينيّ؟! ماذا تريد منهما؟ اسمع .. لدي بعض النقود، ليست كثيرة، لكنها قد تفعل شيئاً .. سأعطيك كل ما املك، إذا تركتني أذهب. لا تقتلني.

- لا تخف يا سيد، لن أقتلك. فقط سأقتلع منك عينيك.

لكن لماذا تريد عينيَّ؟ سألتُ.

لصديقتي. فهي تحبّ جمع باقات من العيون الزرق. ويصعب إيجادها هنا.

- عيناي لن تفيداك شيئاً. إنهما بنيّتان وليستا زرقاوين.

- لا تحاول خداعي ايها السيد. انا اعرف جيدا أن عينيك زرقاوان.

- لا تسلب عيني رجل مثلك، سأعطيك شيئاً آخر.

- لا تمثل دور القديس معي. قال بخشونة. استدر. استدرت. كان صغيراً ضئيل الحجم. صمبريرته تغطي نصف وجهه. يمسك في يده اليمنى علبة ثقاب محلي بدت واضحة في ضوء القمر.

- دعني أرى وجهك. أشعلتُ عود الثقاب وقربته من وجهي. اللهب جعلني ارمش كثيرا وبسرعة حتى بالكاد افتح عينيَّ. فتح أجفاني بيد قوية. لم يتمكن من الرؤية جيداً. وقف على اصابع قدميه محدقا في عينيَّ بانفعال. اللهب احرق أصابعي. فألقيت بالعود. مرتْ لحظات صمت قصيرة.

هل اقتنعت الآن؟ ليستا زرقاوين.

- بارع جداً. ألستَ كذلك؟ أجاب. دعنا نرى. أشعلْ عوداً.

أشعلتُ عوداً آخر وقربته من عينيَّ. جذبَ كُمي وقال بلهجة آمرة:

اركع على ركبتيك. ركعتُ. بيد واحدة جذب شعري بقوة ساحباً رأسي الى الخلف، ثم انحنى فوقي بفضول حاد، بينما عود الثقاب في يده الأخرى يقارب من عينيَّ ببطء لاسعاً جفنيَّ. أغلقت عينيَّ. افتحهما. قال. فتحتُ عينيَّ. اللهب أحرق رموشي. بحدّة مفاجئة اطلقني.

- "حسنا. ربحت اذاً". اختفى. استندت إلى الجدار، رأسي بين يديَّ، هويتُ على الأرض بكل جسدي. نهضت جامعاً نفسي، مرتبكاً وبخطوات مضطربة، ركضت قرابة الساعة في شوارع المدينة القاحلة. عندما وصلت الى الميدان حيث أسكن، وجدت صاحب النزل لايزال جالسا عند الباب، دخلت دون أن أنبس بكلمة. في اليوم التالي غادرت المدينة.

# بول ثيرو

ولد بول ثيرو عام ١٩٤١ في ماتساشوسيتس، ونشر أول رواية له (والدو) عام ١٩٦٧، بعد ذلك صدر له العديد من الروايات منها: البيت الأسود، مستودع العائلة، ساحل البعوض، حياتي الأخرى، التي كانت ضمن الكتب الأكثر مبيعاً مع كتابه الآخر (تاريخي السرّي).

يقول ثيرو: "لا أحد يراني حين أكتب أبداً. احد انتصارات القصة أنها تُخلق في الظلام. تغادر بيتي بغلاف أبيض غير ملطخ بالدم. ليست مثلي، قصصي معافاة وغير قابلة للتلف".

يمكن لقارئ كتابات ثيرو أن يلمس جوهر الكاتب في كل قصصه، فقد مارس الكتابة على مدى خمسة وعشرين سنة، وشخصياته تعيش في كل أنحاء العالم، كلها تنشد السعادة والهرب. خلفيات قصصه تمتد من لندن إلى جنوب شرق آسيا، ومن بوستون، إلى باريس، أفريقيا، وشرق أوربا، وموسكو، وإلى خط الاستواء، تصوّر العسكر، المهاجرين، الدبلوماسيين، الطلبة، الكتّاب، الأكاديميون والأطفال، والعديد منهم يقعون في مواقف غريبة أو علاقات جافة، أو يُسحقون في هزّات ثقافية أكبر منهم، فتأتي قصصه مليئة بالشكوك والترقب، وبعضها بالقسوة، لكنها جميعها مشوبة بالحزن المصحوب بالرفعة.

# الكلمات صكوك

لدى دخوله المطعم في كورني، رأى البروفيسور شيلدرك المرأة الواقفة قرب الباب، فقرر أن يأخذها بعيداً معه، ربما سيتزوجها. عندما عرضت عليه قائمة الطعام وأدرك أنها نادلة صار أكثر ثقة بأنها ستصحبه في هذا اليوم نفسه إلى الفندق، حيث كان قد حجز لاقامته على الساحل في لاروس، ولم يعقه عن المضي في خطته حتى احتمال أن يكون الرجل الواقف خلف النُضد، بشنبه الأسود المتدلي، زوجها، وكان أكبر منها سناً. بدا الرجل كالبهيمة، على أية حال، كان شيلدرك مستعداً لأن يعرض عليها أي شيء تريده.

كانت زوجته قد غادرته في مرسيليا. قالت إنها تريد أن تعيش حياتها. كان عمرها أربعين سنة تقريباً وأوضحت أنها إذا انتظرت أكثر، فلن يكون هناك أي رجل قد ينظر إليها مرتين. رفضت النقاش أو محاولة إثنائها عن رأيها، لقد اتخذت قرارها. كان شيلدرك من حاول التوسل، لكن بلا جدوى.

قال: "ماذا فعلتُ؟"

"إنه ما قلتَ"

الكلمات صكوك: يعرف ان ذلك ما كانت تقصد. وليست واحدة،

إنما تراكم العديد منها على مدى أكثر من اثنتي عشرة سنة. يعرف أن الزواج قد تحطم منذ سنوات طويلة. كان راضياً أن يعيش في ذلك الحطام، وهو مؤمن أنها تحتاجه، لكن هناك في مرسيليا أعلنت له أنها ستتركه. الكلمات التي قالتها بتلك السهولة والمباشرة انهكته، أُوجع كما لو أنها كانت تسحقه بكلامها. وافق أن تحتفظ بالبيت ومبلغ من المال كل شهر.

قال: "سوف أعاني"

"تستحق أن تعاني"

كانت طريقتها صبيانية ومفعمة بالأمل، طريقته كانت تقريباً كهولية . عادت إلى البلد، وعندما حان الوقت ليعود هو الآخر، وجد أن لا جدوى من ذلك، ولا حتى من العودة إلى العمل. كان بروفيسوراً للأدب الفرنسي في الجامعة في كونيكتيكوت: الفصل الدراسي قد بدأ، لكن منذ اليوم الذي غادرته فيه زوجته لم يردّ شيلدرك على أية رسالة ولم يضع أي خطة ولم يفكر بالمستقبل. ما أهمية ذلك؟ لم يفعل أي شيء، لأنه لا شيء يهم. لقد شرع في رحلته هذه، متوسماً الحظ، إذ أُرهق قليلاً من قبل زوجته. الآن انتهى الصيف، زوجته غادرته، وبدأ يعتقد أنها أخذت العالم معها.

ما عاد يجد أهمية في أي شيء مما كان يفعله في السابق، إلاّ أن احساسه بالفشل كان مطلقاً، حتى إنه لم يعد يشعر بوجوده الاّ كمخلوق لطيف، غير مؤذٍ، تحطمت كل دفاعاته، ويواجه الانقراض. زوجته أزاحت كل جلاميده جانباً وتركته عارياً، مثل دودة ناعمة عمياء.

في هذه الحالة من عدم الجدوى، شعر أنه بدون أية التزامات على

الاطلاق. كان العالم مجرد وهم، اخترع الزواج، والوجود، واختفى كل شيء. كان ضحية ترتعش في العراء بصوت ضعيف. الخطأ الذي ارتكبه كان في التماسك الوهمي. الاخلاص يوجد فقط لدى العشاق، لكنه لا يريد لزوجته أن تعود، إنه لا يريد أي شيء. ما أدهشه أنه يدخل مطعماً غريباً في منطقة بعيدة في جزيرة كورسيكا، ويرى امرأة ويريد الزواج منها. تعجب فيما إذا كانت الهزيمة قد جعلته جسوراً. هذه الجزيرة، أول منظر طبيعي يراه كرجل عازب حديثاً، مستسلماً في ضياع بدا له يناسب تهوره. سوف يسأل المرأة أن تغادر معه.

كان مفتوناً بجمالها الآسر، جمال تلك الأشجار التي ظلّ معجباً بها طيلة المساء أثناء قيادته من مستنقعات كاتيراجو. كانت رشيقة، مثل تلك الأشجار، لا تشبه أية امرأة رآها فوق تلك الجزيرة، لذا عرف أنه لن يغادر كورت بدونها. كانت تجسيداً لكل شيء أحبه في كورسيكا. فكرة أخذها معه كانت مؤكدة. لم يكن ثمة شكّ في ذهنه، كان تهوراً وضرورة. وبينما كان يجد له مقعداً ويطلب شراباً ثم يختار عشوائياً من القائمة، قرر تماماً ما سيفعل. بقي عليه فقط أن يبدأ.

كان يتحدث الفرنسية بطلاقة، وفي الحقيقة كان ينطقها بلهجة فرنسية خفيفة، بينما يصاب بتأتأة في حنجرته وثقل في شفتيه عندما يتحدث الإنكليزية، لكن اللغة لم تكن كل شيء. كان لها كتفان صغيرتان، وتقريباً بلا صدر، وساقان ممتلئتان، وشعرها قصير. تحدث إليها عن الطعام، فقط ليؤخرها قليلاً، فيكون قريباً منها. كانت رائحتها ليلكية. أحضرت النبيذ، وجبته، الحلوى، الفواكه، القهوة التي صنعها زوجها في الجهاز الخاص - شبه مؤكد أنه زوجها - وفي كل مرّة كان يقول شيئاً، محاولاً أن يبدو حميمياً، ليجعلها تراه.

ليست لديه خطة واضحة. لن يغادر المدينة بدونها. يفترض به أن يكون في لاروس في تلك الليلة. كانت ترتدي بلوزة مغزولة بأناقة. لم تكن تلبس للمطعم: لم تكن نادلة. زوجها يملك المكان، أجبرها على المساعدة في ادارته. خمن شيلدرك تلك الأشياء وبالتدريج بدأ يفهم أنه بالرغم من أن وجوده بقربها مجرد مصادفة، فهي كانت تنتظره.

اقتربت منه مع الفاتورة، قال" "أرجوك، تعالي معي".

خشي أن يكون أخافها، ولثوانٍ أدرك أنه قال شيئاً خطيراً. إلاّ أنها كانت تنظر إلى الفاتورة. هل كان ذلك تمثيلاً؟ هل كانت تحتال؟.

قال: "لدي سيارة".

لم يظهر عليها أي تعبير. أمسكت الفاتورة باطراف أصابعها الحادة الحمراء.

محاولاً التحكم بصوته، قال شيلدرك: "أحبك وأريدك أن تأتي معي".

استدارت بمواجهته، محوّلة عينيها الخضراوين إليه، وهو يعرف أنها كانت تتفحصه، مستغربة إن كان مجنوناً. ابتسم بفرح، وبدت نظراتها المتفرسة ناعمة، ولمع بريق شاحب من خضرة عينيها.

ارتجفت يداه وهو يضع النقود في الصحن.

قالت: "سأحضر لك الباقي". ثم ذهبت. أجبر شيلدرك نفسه على التحديق بغطاء المائدة، كي لا يفضح مشاعره للرجل الذي يعتقد أنه زوجها.

لم تعد في الحال. هل كانت تخبر زوجها بما قاله لها؟ من الصعب أن يلومها، فما سألها إياه وبهمس كان نزوة مجنونة جداً، يعرف أنه حتماً أخافها. لكنه أيضاً غير نادم على ذلك. يعرف أنه كان يجب أن

يقول ذلك، وإلاّ فلن يسامح نفسه وسيظل يعاني بقية حياته. بعد خمس دقائق افترض أنها ذهبت إلى البوليس، تخيّلَ أن العديد من الناس قد عرفوا بالعرض المجنون الذي قدمه لهذه المرأة.

بنفس الطريقة الأنيقة التي اقتربت بها منه سابقاً، اجتازت المطعم حاملة الصحن، مع القليل من الرسمية انحنت برشاقة كما فعلت من قبل، ووضعته أمامه. ذهبت عائدة إلى النضد حيث رآها أول مرّة.

لا شيء أكثر. لم تردّ، لم تقل كلمة. إذن، بدون كلمة، ليس هناك لوم، كل شيء مضى، مثل نوبة حمّى. الآن، ربما يبقى هذ سراً. كانت لطيفة بما يكفي لأن تجعله ينصرف من دون أن تجعل منه اضحوكة. نظر إلى بقية النقود في الصحن، واعياً بحماس المشهد الذي يؤديه بتركه البقشيش لها. لكن، بينما هو يجمع قطع النقود، شاهد الفاتورة المطوية في قعر الصحن، مكتوبة عليها جملة. الكلمات المكتوبة جعلت أنفاسه تتقطع وبدا كالأبله، الحبر الذي ما يزال رطباً جعله يحمّر مثل شخص أمّي. اجتهد ليقرأها، كانت بسيطة، تقول: "سأكون عند تمثال باولي بعد إغلاق المطعم".

وضع الفاتورة في جيبه وترك لها عشرة فرنكات، ومن دون أن ينظر إليها مرّة أخرى أسرع خارج المطعم. مشى، استدار عند الزاوية، صاعداً الشوارع التي تحولت إلى درجات، وارتقى السلالم الصخرية للسور المحيط بكورت. وحيداً هنا، قرأ الجملة مرّة أخرى، وكان مستمتعاً فوق تلك الشرفات المتهدمة والعلم الذي تهزّه الريح فوقه. إلى الأسفل، في الوديان الصخرية وفوق التلال المجاورة كانت الأشجار التي أحبها.

أعطاها ساعة. في الخامسة، في حمرة الشفق الرائعة، وجد سيارته التي كان أوقفها قرب المطعم. الخُصاص الحديدية للمطعم كانت قد

اسدلت فوق النوافذ، والباب أقفلْ. كان يوم أحد، الشوارع المرصوفة بالحصى في هذه المدينة الجبلية كانت مقفرة، ويستطيع تصور نفسه الشخص الوحيد الحي في كونت. أمِل أن لا تكون القيادة ببطء منافيةً للذوق حول تمثال باولى، بدلاً من التمشي.

وجدها بسهولة، ساحة غير عادية مرشوشة بالحصى، وحول التمثال رآها، مرتدية سترةً قصيرة، حاملة حقيبة، وجهها الأبيض كان مثبتاً عليه. توقف. قبل أن يبدأ الكلام، صارت بجانبه في السيارة.

"بسرعة" قالت، "لا تتوقف". أذهله اسلوبها الحاسم، كانت قدماه ويداه مخدّرة، كان بطيئاً.

"هل تسمعني؟" قالت. "تحرك!"

تحرك متوجهاً بعيداً عن المدينة، جاعلاً إياها تتداعى فوق مرآة السيارة الجانبية. نظرت إلى الخلف، كانت خائفة، ثم ذاهلة، وجهها يسطع. نظرت إليه بفضول وقالت: "إلى أين ذاهبان؟"

"لاروس" قال. "لدي غرفة في فندق بونابرت".

"وبعد ذلك؟"

"لا أدري. ربما بورتو"

"بورتو مقرفة"

أربكه هذا: زوجته كانت دائماً تتحدث عن بورتو. واحد من الأمور التي كانت آسفة عليها حين تركته، ربما الأسف الوحيد، رغم أنها لم تضعه بهذه الصورة، أنهما لم يتمكنا من زيارة بورتو كما كانا قد خططا.

قالت المرأة: "كلها ألمان وأمريكان"

"أنا أمريكي"

"نوع آخر من الامريكان"

"كلنا سواء"

قالت: "أحبّ أن أزور أمريكا"

"أتمنى أن لا أراها أبداً ما دمت حيّاً" قال.

حدقت بشيلدرك ولم تقل شيئاً.

"أنت جميلة جداً"

"شكراً، أنتَ لطيف"

"جميلة" قال. "مثل كورسيكا"

قالت: "أنا أكره كورسيكا. هؤلاء الناس همج"

"أنتِ لست همجية"

"أنا لَست من كورسيكا" قالت. "زوجي منها" نظرت خلال النافذة. لكن ذلك انتهى الآن.

كل شيء حدث بسرعة، المغازلة في المطعم، وتحيّتها له عند التمثال مثل صديق قديم (هل تسمعني؟). كان هذا شيئاً آخر، وجهاً آخر، لذلك تجرأ على السؤال: "لماذا أتيت معي؟"

قالت: "أردت ذلك. كنتُ اخطط لمغادرته منذ سنة، إلاّ أن شيئاً ما دائماً كان يعرقلني. أنتَ أقلقتني قليلاً. اعتقدت أنك شرطي. لماذ تقود ببطء؟"

"أنا غير معتاد على هذه الشوارع"

"اندريه، زوجي، يقود مثل المجانين".

قال شيلدرك: "أنا استاذ جامعي" وفي اللحظة كره نفسه لأنه قال ذلك.

كان الطريق متعرجاً. لا يستطيع أن يتخيل أي شخص يقود بسرعة في هذه المنحنيات، لكن المرأة (ماذا كان اسمها؟ متى سألها؟) تكرر أن زوجها يقود سيارته بسرعة هنا. كان شيلدرك يلاحظ السيارة تجعر حين يغيّر سرعة السيارة، وراحته الغاصة بالعرق تنزلق فوق عجلة القيادة. قال: "إذا لم تكوني من كورسيكا، فمن أين؟"

"أنا فرنسية" قالت، ثم "عندما يكتشف اندريه أني تركته، سيحاول قتلي. كل أهل كورسيكا هكذا، عطاشى للدم. وغيورون. وسيريد قتلك، أيضاً"

قال شيلدرك "شيء مضحك. لم أفكر بهذا"

قالت: "كلهم لديهم مسدسات. اندريه يصيد الخنازير البرية في الجبل. تلك الجبال. إنه رامٍ ممتاز. تلك كانت أوقاتنا السعيدة الوحيدة، الصيد، في السنوات الأولى".

"أنا أكره المسدسات" قال شيلدرك.

"كل الامريكيين يحبون المسدسات"

"ليس هذا الامريكي" قال. تنهدت بشكل مقصود، وبطريقة تمثيلية تقريباً. كان يحاول، لكنه لاحظ أنه لم يعجبها ولو قليلاً، وبلا سبب. لقد أنقذها! فوق الطريق المستقيم اتكأ إلى الخلف وأسرع إلى الفندق بصمت. إلاّ أن تلك المرتفعات ظلّت تبطّئ السيارة، وتجعله نافد الصبر. لا يمكنه التفكير بأي شيء يقوله، وهي لم تساعده. جلست في صمت بسترتها المخملية. أخيراً قال: "هل لديكِ أطفال؟"

"لأي شيء تأخذني؟" قالت. ضايقه زعيقها، كان مؤلماً جداً. "هل تعتقد أن لو كان لدي أطفال... أني كنت سأتركهم مثل عاهرة في المساء، وأذهب مع شخص غريب تماماً؟ هل تعتقد؟"

"أنا آسف"

"أنت لست آسفاً" قالت. "أنت أخذتني للعهر"

راح يعتذر مرّة أخرى.

"قُدْ..." قالت مقاطعة إياه. ظلت تحدّق به من جديد.

"بدلتك" قالت. "بالتأكيد، إنها رثّة، حتى بالنسبة لاستاذ جامعي!"

"لم الاحظ ذلك" قال ببرود.

قالت: "أكره ربطة عنقك".

# جون شيفر

وُلد جون شيفر في مدينة كوينسي بولاية مَساشوسيتس عام ١٩١٢, تلقى تعليماً بسيطاً، ثم اتجه إلى الأدب. له سبع مجموعات قصصية وأربع روايات. أغلب كتاباته تعكس رؤيته الهجائية القاسية للطبقة البورجوازية والمدنية الحديثة. حصل على الجائزة الوطنية للكتّاب، وجوائز أخرى. توفي عام ١٩٨٢ .

# لقاء عائلي

آخر مرة رأيت فيها أبي كانت في محطة غراند سنترال. كنت ذاهباً من بيت جدتي في آديروندكاس إلى الكوخ الذي استأجرته أمي على الساحل، وكتبتُ لأبي إني سأكون في نيويورك لساعة ونصف فترة تبديل القطار، وسألتُ إذا كان بإمكاننا تناول الغداء معاً. سكرتيرته كتبت تقول انه سيقابلني عند غرفة الاستعلامات ظهراً. وفي الثانية عشرة بالضبط رأيته قادماً عبر الزحام. بدا غريباً بالنسبة لي - أمي طلقته قبل ثلاث سنوات، ولم أره منذ ذلك الوقت- لكن ما إن رأيته حتى شعرت أنه أبي، لحمي ودمي، مستقبلي وقدري.

كنت أعلم أنني حين أكبر سأكون إلى حد ما مثله، وأنني سأخطط حياتي على ضوء حياته.

كان ضخماً، جميل الهيئة، وكنت سعيداً للغاية برؤيته مرة أخرى. جذبني إليه وصافحني. "أهلاً شارلي" قال. "أهلاً ياولد. أحب أن آخذك إلى النادي لكنه يعود إلى الستينات، وإذ عليك اللحاق بالقطار التالي، فأعتقد أنه من الأفضل أن نأكل شيئاً ما قريباً من هنا". وضع ذراعه حولي، فشممت رائحته كما تشم أمي الورد. كان خليطاً مركّزاً من الويسكي، عطر ما بعد الحلاقة، طلاء الأحذية، صوف، وعفونة الذكور

البالغين. تمنيت لو يرانا الناس معاً. تمنيت لو أمكننا أن نلتقط صورة، أردت الاحتفاظ ببعض التذكارات التي تجمعنا.

ذهبنا خارج المحطة إلى مطعم في شارع جانبي. كان الوقت لا يزال مبكراً، والمكان خالياً. كان مدير المطعم يتشاجر مع النادل، وقرب باب المطبخ يقف نادل كبير السن بسترة حمراء. جلسنا هناك، وهتف أبي للنادل بصوت عال بالفرنسية "جرسون"، صرخ أبي بالإيطالية "كامريرا .. أنت!". الصخب الذي أحدثه أبي في المطعم الخالي بدا غريباً على المكان. "هل يمكننا الحصول على خدمة بسيطة هنا!" صرخ. "طق - طق" ثم صفق بيديه. جذب انتباه النادل، فأسرع باتجاه طاولتنا.

"هل كنت تصفق لي بيديك؟" سأل. "اهدأ، اهدأ،" قال أبي. "إذا لم يكن كثيراً جداً أن نطلب منك، إذالم تكن طلباتنا أكثر من اللازم، وفوق الواجب، نريد أن تجلب لنا طبقي زغاليل".

"لا أحب أن يصفق لي أحد"، قال النادل.

"كان علي أن أحضر معي صفارتي" قال أبي. "عندي صفارة تُطلق لآذان النُدل العجائز، الآن خذ دفترك الصغير، وقلمك الصغير، وانظر فيما إذا كنت تستطيع أن تحضر لنا بسرعة طبقي زغاليل. كرر ما أقول: طبقي زغاليل".

"أعتقد أنه من الأفضل أن تذهب إلى مكان آخر" قال النادل بهدوء.

قال أبي "هذا واحدٌ من أفضل الاقتراحات التي يمكن أن أسمعها؛ هيا بنا يا شارلي، لنخرج من هذا المكان اللعين".

تبعت والدي خارج المطعم إلى مطعم آخر. لم يكن صاخباً هذه المرة.

جاءتنا المشروبات التي طلبناها، وخلال ذلك سألني عن موسم الكرة. بعد ذلك نقر حافة كأسه الفارغة بالسكين وبدأ بالصراخ من جديد. "جرسون! كلنير! أنتَ، هل نزعجك إذا طلبنا أن تحضر كأسين من نفس الشراب؟".

"كم عمر الصبي؟" سأل النادل.

"هذا"، قال أبي "ليس شأنك، عليك اللعنة".

"آسف، سيدي" قال النادل. "لكنني لا أستطيع أن أحضر كأساً أخرى للصبي".

"حسناً، لدي بعض الأخبار لك"، قال أبي. "لدي أخبار مدهشة لك، هذا ليس المطعم الوحيد في نيويورك. لقد افتتحوا مطعماً آخر في الزاوية. هيا بنا يا شارلي".

دفع الفاتورة، وتبعته إلى مطعم آخر ,هنا كان النادل يرتدي سترة وردية، مثل بدلة الصيد، وكثير من صور الخيل معلقة على الجدران. جلسنا، ثم بدأ أبي بالصراخ. "يا سيد القناصين! ياهووو.. وكل ما شابه. نريد شيئاً ما، قليلاً، على طريقة كأس الوداع. واثنين مما يسمى زغاليل".

"اثنين من الزغاليل؟" سأل النادل بابتسامة.

" أنت تعرف جيداً ما أريد عليك اللعنة" قال أبي بغضب. "أريد طبقي زغاليل، واجعلهما مقرمشين. الأشياء تغيرت في إنجلترا القديمة الرائعة، هذا ما أخبرني به صديقي الدوق. دعنا نرى ما يمكن أن تقدمه إنجلترا من كوكتيل؟"

" هذه ليست إنجلترا" قال النادل.

"لا تجادلني"، ردّ أبي. "فقط نفّذ ما قلته لك".

" اعتقدت فقط أنك تريد أن تعرف أين أنت"، قال النادل.

"إذا كان ثمة شيء لا يمكن التساهل به.."، قال أبي "فهو وقاحة الخدم. هيا بنا يا شارلي".

المكان الرابع الذي ذهبنا إليه كان ايطالياً. " buon giorno, طاب يومك"، قال أبي بالإيطالية. per favore, possiamo avere due cocktail americani, forti, forti, Molto gin, poco vermut.. (من فضلك، هل يمكننا تناول كأسي كوكتيل أمريكي، قوي، قوي، مع الكثير من الكحول، والقليل من الفرموت).

"أنا لا أفهم الايطالية"، قال النادل.

"اوه، دعك من هذا" قال أبي. "أنت تفهم الايطالية، وتعرف جيداً عليك اللعنة إنك تعرف".

تركنا النادل وتحدث مع المسؤول، الذي جاء إلى مائدتنا وقال: "أنا آسف، سيدي، لكن هذه المائدة محجوزة".

"حسناً" قال أبي "اعطنا مائدة أخرى".

"كل الموائد محجوزة" قال المسؤول.

"فهمت"، قال أبي، "أنت لا ترغب تَصدُّقَنَا عليك في البقاء هنا. أليس كذلك؟ حسناً، إلى الجحيم. ثم قال بالإيطالية -Vada all' infer no - اذهب إلى الجحيم - هيا بنا شارلي".

"يجب أن ألحق بالقطار"، قلت.

"أنا آسف، يا بُني"، قال أبي. "أنا جداً آسف". وضع ذراعه حولي وجذبني إليه. "سأتمشى معك إلى المحطة. لو كان لدينا وقت لذهبنا إلى النادي".

"لا بأس يا أبي" قلت.

"سآخذ لك جريدة"، قال. "سآخذ لك جريدة لتقرأها في القطار". ثم ذهبنا إلى كشك لبيع الجرائد وقال: "لطفاً سيدي، هل يمكنك التفضل وتخدمني بواحدة من تفاهاتك الرديئة، جريدة المساء ذات العشرة سنتات؟". أشاح البائع بعيداً عنه محدقاً في غلاف مجلة. "هل سألتُ كثيراً، لطفاً يا سيد؟" قال أبي. "هل سألتُ الكثير منك لتبيعني واحدة من النماذج المقرفة للصحافة الصفراء؟".

"أبي، يجب أن أذهب" قلت، "لقد تأخرت".

"الآن، انتظر ثانية فقط يا بني" قال. "فقط انتظر ثانية، أريد أن أؤدب هذا الشاب".

"وداعاً أبي." قلت، ثم نزلت السلم وأخذت طريقي إلى المحطة، وكانت تلك أخر مرةٍ أرى فيها أبي.

# رايموند كارفر

ولد كارفر في واشنطن عام ١٩٣٨، كان والده عاملاً في منشرة للخشب ووالدته نادلة. تزوج مبكراً، ولعدة سنوات ظل يكتب ليعيش هو وعائلته. التحق في الكلية ليتعلم فنّ الكتابة، أثناء ذلك عمل في عدة مهن، حمالاً في مستشفى، بائعاً، ساعياً، عاملاً في محطة بنزين ومهن أخرى. هذه التجارب وحياته العائلية المتطلبة كانت تشكل مواضيع كتاباته في تلك الفترة، ومع أنه نشر عدة كتيبات شعرية وقصص قصيرة في الستينات وأوائل السبعينات، إلاّ أن ظهوره الحقيقي كان بعد نشر مجموعته القصصية (هل يمكن أن تهدأ، رجاءاً) في عام ١٩٧٩، بعدها بدأ التغيّر الجذري في حياته، إذ كفّ عن الكحول الذي سببت انهيار زواجه، وفي السنة نفسها التقى الشاعرة تس كالاغر التي شاركته الاحدى عشرة سنة الأخيرة من حياته حتى وفاته عام ١٩٨٨ . كان يكتب بكثافة، ويُعدّ من كتّاب الحداثة، وقد لقب بتشيخوف الامريكي مع انه كان شديد الأعجاب بالكاتب اسحاق بابل حتى انه كان يحفظ له بعض النصوص كاملة عن ظهر قلب.

# شيءٌ واحدٌ آخر

مكسين، زوجة ل.د، قالت له أن يترك البيت تلك الليلة عندما عادت من العمل ووجدته سكراناً وقد بدأ يشاكس ابنتهما راي ذات الخمسة عشر عاماً. كان ل.د وراي في المطبخ يتجادلان قرب المائدة. لم تأخذ مكسين وقتاً لتنزع معطفها أو تطرح عنها حقيبة يدها.

قالت راي: "قولي له، ماما. أخبريه ماذا قلنا".

حمل ل.د الكأس بيده، لكنه لم يشرب منه. رمقته مكسين بنظرة غاضبة وشرسة.

"أبعدي أنفك عن أشياء لا تعرفين عنها أي شيء" قال ل.د، ثم أضاف. "لا يمكنني أن آخذ بجدية شخصاً كل ما يفعله أنه يجلس طوال اليوم يقرأ مجلات التنجيم".

"هذه لا علاقة لها بالتنجيم" قالت راي. "وليس من حقك أن تزعجني".

بالنسبة لراي،لم تذهب إلى المدرسة منذ أسابيع. تقول لا أحد يستطيع إجبارها على ذلك. مكسين تقول إن ذلك مأساة أخرى من المآسي الرخيصة.

"لماذا لا تخرسان أنتما الاثنين!" قالت مكسين. "يا إلهي، أنا أصلاً أصابني صداع".

"قولي له، ماما" قالت راي. "أخبريه أن كل شيء في دماغه. أي شخص يعرف أي شيء عنه سيخبرك أين يوجد!"

"ماذا عن سكّر مرضى السكري؟"، قال ل.د. "ماذا عن الصرع؟ هل يستطيع الدماغ السيطرة عليه؟"

رفع الكأس تحت عيني مكسين وأنهى شرابه.

"السكري أيضاً" قالت راي. "الصرع. أي شيء! الدماغ هو أقوى عضو في الجسم، لمعلوماتك".

أخذت سجائره وأشعلت لها واحدة.

"السرطان. ماذا عن السرطان؟"، قال ل.د.

اعتقدَ أنه سيغلبها في هذه النقطة. نظر إلى مكسين. "لا أعرف كيف بدأنا بهذا" قال لمكسين.

"السرطان" قالت راي، وهزّت رأسها لسذاجته. "السرطان أيضاً. السرطان يبدأ من الدماغ".

"هذا جنون!" قال ل.د. ضرب المائدة بيده، فقفزت منفضة السجائر، انقلب الكأس وصار يدور فوق المائدة. "أنتِ مجنونة، راي! هل تعرفين ذلك؟"

"اخرس" قالت مكسين.

فتحت أزرار معطفها ووضعت حقيبتها على النُضد. نظرت إلى ل.د، وقالت: "لقد عرفتُ أخيراً. وكذلك راي، ومن يعرفك. كنت أفكر بأن كل شيء قد انتهى. أريدك أن تغادر البيت. الليلة. هذه الدقيقة. الآن. اخرج من البيت الآن وحالاً".

لم تكن لديه أية فكرة عن أي مكان يذهب إليه. ظل ينظر بين

مكسين وطاسة المرق الموضوعة فوق المائدة منذ الغداء. حمل الطاسة وقذف بها نافذة المطبخ.

قفزت راي من مقعدها. "يا إلهي! إنه مجنون!" وذهبت لتقف بجانب أمّها. والتقطت أنفاسها.

"اتصلي بالشرطة" قالت مكسين. "إنه شرس. اخرجي من المطبخ قبل أن يؤذيك. اتصلي بالشرطة" قالت مكسين.

بدأتا تخرجان من المطبخ.

"أنا ذاهب" قال ل.د. "حسناً، أنا ذاهب حالاً" قال. "فهذا يناسبني تماماً. أنتما مجنونتان، على أية حال. هذا بيت المجانين. هناك حياة أخرى بعيداً عن هنا. صدقوني. هذا المكان ليس نزهة، إنه بيت المجانين".

صار يشعر على وجهه بالهواء المنسرب من النافذة المكسورة. "هناك، سوف أذهب" قال. "هناك" قال وهو يشير بيده.

"جيد" قالت مكسين.

"حسنٌ أنا ذاهب" قال ل.د.

ضرب بيده على المائدة ورفس كرسيه إلى الخلف ونهض. "لن تروني مرة أخرى" قال ل.د.

"لقد تركتَ لنا الكثير لنتذكرك به" قالت مكسين.

"سأغادر بيت المجانين" قال ل.د.

أخذ طريقه إلى غرفة النوم وأخرج واحدة من حقائبها من الخزانة. حقيبة بيضاء قديمة بمقبض مكسور، كانت تستخدمها لحمل ملابسها عندما تذهب إلى الكلية. هو أيضاً ذهب إلى الكلية. ألقى بالحقيبة على السرير وبدأ بوضع ملابسه الداخلية، بناطيله، قمصانه، بلوزاته، حزامه

الجلدي القديم، جواربه، وكل شيء آخر يملكه. من على الكومدينو أخذ مجلات ليقرأها. أخذ منفضة السجائر. وضع كل ما يستطيع أخذه في الحقيبة، كل ما يمكنه حمله. ربط أحد الجوانب بقوة، وأحكم الرباط، ثم تذكر أشياء الحمام. وجد حقيبة أدوات الحلاقة فوق رف الخزانة خلف قبعاتها. وضع بها الموسى وصابون الحلاقة، البودرة والمعطّر وفرشاة الأسنان، أخذ معجون الأسنان أيضاً. ثم أخذ عيدان الأسنان.

يسمعهما تتحدثان في غرفة المعيشة بصوت خافت. غسل وجهه، وضع الصابون والمنشفة في حقيبة أدوات الحلاقة، ثم وضع طبق الصابون والكأس ومقص الأظافر وملقط.

لم يستطع إغلاق حقيبة أدوات الحلاقة، لكن ذلك لا يهم. ارتدى معطفه وحمل الحقيبة، وذهب إلى غرفة المعيشة. عندما رأته، وضعت مكسين ذراعها حول كتف راي.

"هذا كل شيء" قال. "هذا الوداع" قال. "لا أدري ماذا يمكن أن أقول أيضاً عدا إنني أعتقد أن لن أراك مرة أخرى أبداً. وأنتِ أيضاً" قال لراي. "أنت وأفكارك المجنونة".

"اذهبْ" قالت مكسين. أخذت يد راي. "ألم تلحق ما يكفي من الضرر في هذا البيت؟. اخرج ل.د، اخرج من هنا واتركنا بسلام".

"فقط تذكر" قالت راي. "أنه في رأسك".

"أنا ذاهب، هذا كل ما أستطيع قوله" قال. "أي مكان، بعيداً عن بيت المجانين هذا" قال. "هو أهم شيء".

ألقى نظرة أخيرة على غرفة المعيشة ثم نقل الحقيبة من يد إلى الأخرى ووضع حقيبة الحلاقة تحت ذراعه. "سأكون على اتصال، راي. مكسين، الأفضل أن تتركي بيت المجانين هذا أنت نفسك".

"أنت جعلته بيت مجانين" قالت مكسين. "إذا كان بيت مجانين، فذلك بسببك أنتَ".

أنزل الحقيبة ووضع حقيبة الحلاقة فوقها. وجد نفسه بمواجهتهما.

تحركتا إلى الخلف.

"أحذري، ماما" قالت راي.

"أنا لست خائفة" قالت مكسين.

وضع حقيبة الحلاقة تحت ذراعه وحمل الحقيبة الأخرى .

قال: "فقط أريد أن أقول شيئاً واحداً آخر".

لكنه بعد ذلك، لم يعرف ما كان يريد أن يقول.

# لماذا، يا حبيبي؟

عزيزي...،

فوجئتُ كثيراً برسالتك التي تسأل فيها عن ابني، كيف عرفتَ أنني هنا؟ لقد انتقلت إلى هنا مباشرةً بعد أن بدأت تلك الأمور تحدث.

لا أحد هنا يعرف من أنا لكنني خائفة أن يكونوا كلهم سواء. إنه هو من أخافه. عندما أنظر إلى الصحف أهزّ رأسي وأتعجّب. أقرأ ما يكتبون عنه وأسأل نفسي هل هذا الرجل حقّاً ابني، هل هو حقّاً يفعل هذه الأشياء؟

كان فتىً طيباً، باستثناء تلك العادة .. بأنه لا يستطيع أن يكون صادقاً. لا يمكنني إيجاد أي مبررات. اكتشفت هذه العادة في يوم من أيام الصيف، في الرابع من تموز، كان حينها في حوالي الخامسة عشرة. اختفت قطتنا ترودي، غابت عن البيت طوال الليل واليوم التالي. في الليلة التالية جاءت جارتنا السيدة كوبر لتخبرني أن ترودي زحفت إلى الفناء الخلفي لبيتها بعد ظهر ذلك اليوم لتموت هناك. كانت ترودي مقطّعة، لكنها استطاعت التعرف عليها. ودفنت السيدة كوبر بقايا القطة.

"مقطّعة؟ ماذا تعنين بمقطّعة؟"، قلتُ.

"السيد كوبر شاهد ولدين يضعان مفرقعات نارية في أذني القطة وفي داخلها، تعرفين ما أعني.. حاول ايقافهما لكنهما ركضا، لم يعرف الفتى الآخر، لكن أحدهما ركض بهذا الاتجاه. ويعتقد أنه ابنك".

هززتُ رأسي. لا، لا يمكن أن يكون كذلك، لا يمكنه أن يفعل شيئاً كهذا، لأنه يحب ترودي التي تعيش معنا منذ خمس سنين. لا، لم يكن ابني.

في نفس الليلة أخبرته عن ترودي فبدا مندهشاً ومصدوماً، قال يجب أن نعرض مكافأة. كتب شيئاً ووعد بنشره في المدرسة، لكنه حين توجه إلى غرفته قال لا تعطِ الموضوع أهمية أكثر من اللازم، لقد كانت قطة مسنّة. بالنسبة لأعمار القطط كانت في الخامسة والستين أو حتى في السبعين، لقد عاشت طويلاً.

كان يذهب بعد الظهر وأيام السبت إلى هارتلي. احدى صديقاتي، بتي ويلكز كانت تعمل هناك، أخبرتني عن وظيفة وقالت إنها سوف تزكيه لدى أرباب العمل، فأخبرته عن الوظيفة ذلك المساء، قال حسناً، الوظائف غير متوفرة للشباب، ومن الصعب إيجادها.

في الليلة التي استلم فيها أول مرتب طبخت عشاءه المفضل، وكان كل شيء على المائدة حين وصل. ها هو رجل البيت، قلت، محتظنةً إياه. أنا فخورة جداً بكَ، كم استلمت، حبيبي؟ ثمانين دولاراً، قال. كنتُ مندهشة وذاهلة. هذا رائع، حبيبي، أنا غير مصدقة. أنا جائع جداً، قال. لنأكل.

كنت سعيدة، لكنني لم أتمكن من فهمه. كان أكثر من قدرتي. عندما غسلت الملابس وجدت وصلاً من هارتلي في جيبه، كان بثمانية وعشرين دولاراً. قال ثمانين!. لماذا لا يقول الحقيقة؟ لا أفهم.

أسأله أين ذهبت الليلة الماضية، حبيبي؟ إلى السينما يردّ، لأكتشف فيما بعد أنه ذهب الى حفلة رقص أو أنه قضى الليل يتجول في سيارة مع أحد أصحابه. أفكر، ماذا تفرق بالنسبة له، لماذا لا يكون صادقاً، ليس هناك مبرر ليكذب على أمّه.

أتذكرة مرةً، حين كان يُفترض ذهابه في رحلة ميدانية، وسألته ماذا رأيت في الرحلة، حبيبي؟ فهزّ كتفيه وقال طبقات الأرض، صخوراً بركانية، رماداً، أرونا المكان حيث كانت توجد بحيرة كبيرة قبل مليون سنة، الآن مجرد صحراء قاحلة. نظر في عينيّ واستمر في الكلام. في اليوم التالي استلمت رسالة من المدرسة يطلبون موافقتي على ذهابه في الرحلة الميدانية.

قرب نهاية سنة التخرج اشترى سيارة، وكان يخرج باستمرار. كنت قلقة بشأن درجاته، إلاّ أنه كان يضحك دائماً. تعرف انه كان طالباً ممتازاً، تعرف ذلك عنه اذا كنتَ تعرف أي شيء. بعد ذلك اشترى بندقية صيد وسكيناً.

كنت أكره رؤية تلك الأشياء في البيت وأخبرته بذلك. ضحك. كان دائماً يضحك. قال إنه سيضعهما في تابلوه السيارة، فسيكون ذلك مناسباً له أكثر على أية حال.

مرة، في ليلة السبت لم يرجع إلى البيت، قلقت كثيراً. حوالي العاشرة في الصباح التالي جاء إلى البيت وسألني أن أعد له الافطار، قال إن شهيته انفتحت بعد الصيد، قال إنه آسف لأنه قضى الليل خارج البيت، وقال إنهم كانوا يمشون بشكل متواصل في السيارة. كان عصبياً.

إلى أين ذهبتم؟

فوق إلى وينس لبعض الصيد، صدنا قليلاً.

مع من ذهبت، حبيبي؟

فرَيد.

فريد؟

حدّق إليّ ولم يقل شيئاً آخر.

يوم الأحد تسللت بحذر إلى غرفته لآخذ مفاتيح السيارة، فقد قال إنه سيحضر بعض الأشياء للإفطار في طريق عودته الى البيت من العمل الليلة الماضية، ففكرت أنه ربما تركها في السيارة. رأيت حذاءه الجديد تحت السرير ملطخاً بالطين والرمل. فتح عينيه.

حبي، ماذا حدث لحذائك؟ انظر .

لقد نفد عندي البنزين فكان عليّ أن أمشي قليلاً لأحصل عليه. نهض. بماذا يعنيك هذا؟

"أنا أمك"، قلت.

بينما كان في الحمام أخذت المفاتيح وذهبت الى السيارة. فتحت الصندوق، لم أجد الحاجيات. رأيت البندقية ملقاة فوق شرشف، والسكين أيضاً ورأيت قميصه مكوراً، فصعقت إذ كان ملطخاً بالدم. لا يزال الدم رطباً. أخذته، وحين أغلقت الصندوق رأيته يراقبني من النافذة.

نسيت أن أخبرك، قال. نزف أنفي أمس بشدة، لا أدري إذا كان بالإمكان غسل هذا القميص أم لا! ارمِه، قال وابتسم.

بعد أيام قليلة سألته كيف كان حال العمل. جيد، قال، وقد حصل على ترقية. لكني قابلت بتي ويلكز في الشارع وقالت لي إنهم متضايقون جداً لأنه ترك العمل، فقد كان محبوباً جداً.

بعد ذلك بيومين كنت في السرير لكنني لم أستطع النوم، كنت أحدّق في السقف. سمعت سيارته تقف أمام البيت، ثم سمعته يدخل من باب المطبخ إلى الصالة ثم إلى غرفته ويغلق الباب خلفه. رأيت ضوء غرفته من تحت الباب. طرقت الباب ثم دخلت وقلت هل ترغب بفنجان

شاي، حبيبي؟ لا أستطيع أن أنام الليلة. كان منحنياً قرب خزانة الملابس، فصفق الجارور بقوة واستدار نحوي ثم صرخ: "اخرجي من هنا، أنا أقرف من تجسسك عليّ". ذهبت إلى غرفتي وبكيت إلى أن نمت. تلك الليلة كسر قلبي.

في الصباح التالي كان قد استيقظ مبكراً وخرج قبل أن أراه. بالنسبة لي كان ذلك لا بأس به، ومنذ ذلك قررت معاملته مثل نزيل، إلاّ إذا حسّن أسلوبه، وأن أتصرف ضمن حدودي. يمكنه الاعتذار، إذا أراد أن لا نكون مثل غرباء تحت سقف واحد.

عندما رجعت ذلك المساء، وجدته قد أعدّ العشاء، كيف حالك؟ قال، أخذ معطفي. كيف كان نهارك؟

قلت لم أنم تلك الليلة، حبيبي. لقد وعدت نفسي أن لا أكررها مرة أخرى، ولا أريدك أن تشعر بالذنب، لكنني غير معتادة أن يخاطبني ولدي بهذه الطريقة.

أريد أن أريك شيئاً، قال، ثم أراني المقال الذي كتبه عن الحقوق المدنية. أعتقد أنه كان يتعلق بالكونغرس والمحكمة العليا. كانت تلك الورقة التي فاز عليها بجائزة التخرج. حاولت قراءتها، ثم قلت إن هذا الوقت مناسب، حبيبي، لأتحدث معك قليلاً، من الصعب تربية طفل هذه الأيام، صعب بشكل خاص بالنسبة لنا حيث لا أب في البيت، لا يوجد رجل تستدير إليه وقت الحاجة. أنت كبرت الآن، لكنني لا زلت مسؤولة عنك وأشعر أن من حقي بعض الاحترام والاهتمام منك، فأنا دائماً مخلصة معك. أريد الصدق، حبيبي، هذا كل ما أسألك إياه، الصدق، حبيبي. أخذتُ نفساً. افرض ان لديك طفلاً، وعندما تسأله عن شيئ ما،

أي شيء، أبداً، ولا مرة أبداً يخبرك الصدق؟ اذا سألته هل تمطر في الخارج؟ سيجيبك، لا، الطقس جميل ومشمس، وهو يضحك بينه وبين نفسه، مستخفاً بك أو مستغبيك ظانّاً أنك لا ترى ملابسه المبللة. لماذا يكذب، اسأل نفسك، ماذا سيجني...؟ لا أدري. أظل أسأل نفسي لماذا، لكني لا أجد جواباً. لماذا، حبيبي؟

لم يقل أي شيء، ظل مبحلقاً، ثم تحرك ومشى بجانبي وقال سوف أريك. اركعي، هذا ما أقول، الخضوع هو ما أريد، قال، هذا هو السبب الأول.

ركضت إلى غرفتي وأغلقت الباب. لقد غادر تلك الليلة، أخذ أشياءه وكل ما أراد وغادر. صدّق أولا تصدق،اني لم أره بعد ذلك أبداً. رأيته في حفل التخرج، لكن ذلك كان ضمن لفيف من الناس. جلستُ مع الحضور أراقبه وهو يستلم شهادته والجائزة عن تلك المقالة، ثم سمعته يلقي خطبة، وصفقتُ له مع الباقين.

لم أره أبداً بعد ذلك. آه، بالتأكيد رأيته في التلفزيون ورأيت صوره في الصحف. وعرفت انه التحق بالمارينز، ثم سمعت من شخص ما أنه ترك المارينز ليلتحق بكلية في الشرق، وبعد ذلك تزوج من تلك الفتاة وأدخل نفسه بالسياسة. صرت أرى اسمه في الصحف. وجدتُ عنوانه وكتبتُ له، كنتُ أكتب له رسالة كل بضعة أشهر، ولا جوابَ أبداً.

رشح نفسه لمنصب الحاكم، وانتُخب، وصار مشهوراً الآن. من هنا بدأتُ أقلق.

بدأتُ أبني تلك المخاوف، طبعاً توقفتُ عن الكتابة له آملةً أن يعتقد اني متّ. انتقلتُ الى هنا. وطلبت أن يعطوني رقماً غير مُدرج في الدليل. وكان عليّ أن أغير أسمي.

إذا كنتَ رجلاً ذا نفوذ وتريد أن تجد شخصاً ما، فستجده، لن يكون الأمر صعباً.

المفروض أني فخورة جداً، لكنني خائفة. الأسبوع الماضي رأيت سيارة في الشارع وبداخلها رجل، أعرف أنهِ كان يراقبني. عدتُ مباشرةً وأقفلتُ الباب خلفي. قبل بضعة أيام رنّ التلفون ورنّ، كنتُ مستلقية، وحين رفعت السماعة لم يكن هناك أحد. أنا سيدة كبيرة، أنا أمّه، المفروض أن أكون الأم الأكثر فخراً وشرفاً على الأرض،لكنني خائفة.

شكراً على الرسالة. لقد أردت شخصاً ما أن يعرف. أنا خَجِلة جداً.

أردتُ أن أعرف أيضاًكيف عرفت اسمي وعرفت إلى أين ترسل الرسالة؟ كنت أصلّي لكي لا يعرفني أحد. لكنك عرفت. لماذا عرفت؟ أرجوك أخبرني لماذا.

المخلصة

# جون ماكْيرن

كاتب ايرلندي ولد عام ١٩٣٥، ويعتبره النقاد شبيه صمويل بيكيت. يكتب الرواية والقصة القصيرة. تتسم كتاباته بالكتير من المعانة والمرارة، المتأتية من حياته الشخصية، لكونه ابن ضابط صغير في دبلن، وحين مُنعتْ وصودرت روايته (الظلام) التي تتناول العلاقات الجنسية، وقد طُرد على اثرها من وظيفته، غادر بعد ذلك ايرلندا ليستقر في لندن لفترة ثم الى امريكا. روايته الأولى (ثكنات) الصادرة عام ١٩٦٣، التي تناول فيها مرحلة المراهقة والبلوغ ببعض القسوة نالت اعجاب النقاد وحصلت على العديد من الجوائز. قصته الحالية (كوريا) التي يتناول فيها العلاقة القلقة بين اب يعاني مرارة الحياة في ايرلندا وبحث ابنه على الهجرة الى امريكا، لدافع في نفسه، يصفها النقاد بالقسوة في ايقاعها الملح على هجرة الشباب الايرلندي الى امريكا.

# كوريا

"لقد رأيتَ حكم الاعدام أيضاً، أليس كذلك؟" سألتُ أبي، فبدا يحكي وهو يجذّف. كان قد ألقي القبض عليه في كمين أواخر عام ١٩١٩، في ذلك الوقت كانوا يطلقون النار على الأسرى انتقاماً. كان يعتقد انه هو الذي سيكون التالي، بعد بضعة أيام نقلوه الى زنزانة خلف باحة السجن. يستطيع أن يرى من خلال القضبان ما يدور في الخارج. تلك الليلة اقترب من الباب ، وعند الفجر رأى اثنين من الأسرى الذين تقرر اطلاق النار عليهم يُساقان الى الباحة: رجل في بداية الثلاثينات والآخر ولد صغير، في السادسة أو السابعة عشرة، كان يبكي. ربطوا عيني الصبي، ورفض الرجل أن تُربط عيناه. عندما صرخ الضابط، "انتصب" فزّ الصبي معتدلاً بينما ظل الرجل على وقفته، يمضغ ببطء، واضعاً يديه في جيوبه.

"أخرج يديك من جيبك" صرخ الضابط مرة أخرى بصوت غاضب.

هزّ الرجل رأسه ببطء.

"هذا متأخر جداً بعد الآن" قال. فأمر الضابط بفتح النار عليهما، وما إن انطلق وابل الرصاص، حتى تمزق الصبي داخل قميصه إلى القلب، كمن يُقتلع اقتلاعاً بالرصاص، وبدأت أزرار القميص تتطاير في الهواء

قبل ان يسقط منكفئاً على وجهه. الآخر، تمايل بهدوء وسقط على ظهره: حتماً كان ذلك بسبب وضع يديه في جيوبه.

أجهز الضابط على الصبي بطلقة أخرى من مسدسه بينما كان منكباً على الأرض، لكنه أطلق خمس رصاصات سريعة على الرجل، كمن يقتصّ منه لعدم الامتثال لأوامره.

بعد سنوات، عندما كنت في شهر العسل ، كان شهر أيار، وقد أخذنا الترام الى أعلى هضبة (هوث) من (سَفن كروس). قال ابي، وقد كف عن التجديف. "جلسنا في العراء على القمة، في مقاعد خشبية، وسكة الترام تحيط بنا فبدا ذلك مثل سفينة صغيرة. كان البحر في الأسفل، ورائحته مع رائحة الأزهار تملأ المكان، فنظرت الى الأسفل ورأيت براعم الوزال تتفجر، والطريقة التي كانت تتفجر بها كانت مروعة مثل أزرار الصبي عندما تمزق داخل قميصه. لم أستطع اخراج تلك الصورة من رأسي طيلة ذلك النهار. لقد عكّرت كل ذلك اليوم".

"الغريب أن ايديهما لم تكن مربوطة؟" سألت، بينما هو يجدف، "ربما لأنهم يعتبرونهما جنوداً".

"هل تعتقد ان الصبي وقف معتدلاً ظاناً انه سيعفى اذا ما أطاع الأوامر؟".

"يبدو لي تمثيلاً الى حدٍ ما. منذ الذهاب الى المدرسة قبل وقت طويل"، قال بحدة.

بقيت صامتاً. كان أمراً جديداً بالنسبة لي أن أسمعه يتحدث عن حياته الخاصة. من قبل، كنت اذا سألته عن الحرب، كان يثني اصابعه فوق عينيه كمن يمزق عنها شبكة عنكبوت، كان هذا آخر صيف لي معه في النهر، وبدا ان ذلك جعله يرغب بالحديث، يعطي مما في داخله قبل أن ينتهي.

تقدمتُ منسحباً بسرعة متواصلة في النهر الذي يرتجّ بحركة الأسماك، كان لا يزال هناك ميلان من النهر، شبكة صيد عند كل ثلاث ياردات على طول المجرى. مسموح لنا بألف شبكة فقط، لكننا نستعمل أكثر. كنا آخر من يصيد في هذه المياه من أجل العيش.

ما إن يأتي سمك الانقليس الى جانب القارب حتى اخلّصه بالسكين في السلة، بينما ينزلق بزيته فوق بعضه، يتلوى والخطاطيف في فمه، الأسماك الأخرى، مثل الشبوط والروشة، تندفع مختنقة بالخطاطيف محاولةً ابتلاعها، تنزلق على ارضية القارب باتجاه المؤخرة. سوف نبيعها في القرية أو نوزعها. نظّفت الشباك غير المستعملة ووضعتها في الصندوق الخشبي وتركت الصنارة في الوسط. بعد ميل تقريباً، أخذ مكاني في مؤخر القارب وجدّفتُ أنا. لم يستيقظ الناس بعد، فقد كان الصباح الباكر بارداً وضبابياً عند النهر. خارج دوائر الأمواج الهادئة التي يصنعها المجداف، كان السمك يتقلب في النهر وتتناثر حوله قطرات الماء الناعمة مكونة فقاعات، كان الصمت مخيماً عند النهر، باستثناء خوار الماشية على الضفة بين فترة وأخرى.

"هل لديك فكرة عما ستفعله بعد الصيف؟" سألني.

"لا، سأنتظر وأرى ما سيأتي." أجبت.

"ماذا تقصد بـ (ما سيأتي)؟"

"أياً كانت نتيجة الامتحان التي سأحصل عليها. اذا كانت النتيجة جيدة، سيكون لي عدة خيارات. وإن لم تكن جيدة فلن يكون هناك اي خيار. سآخذ ما يمكنني الحصول عليه".

"وماذا تتوقع أن تكون؟"

"أعتقد أنها ستكون جيدة، لكن لا جدوى من عدّ الدجاج، اليس كذلك؟"

"لا" قال، لكن ثمة قلق بدا على وجهه، جعلني متوجساً بينما قطعتُ مجدّفاً آخر رحلة من النهر. لقد بدأ النهار، وأصوات المزارع البعيدة تحلق فوق النهر، مع الوقت، رفعنا الشبكة الكبيرة وأفرغناها مع بقية محصول صيد الصباح من سمك الانقليس، ثم غطسناها ثانية في النهر.

"لدينا ما يكفي لنبيعه غداً" قال. كل أسبوع نرسل كمية من سمك الانقليس الحي الى (بيلينغس) في لندن.

"لكن، قل، قل إنك حتى اذا حصلت على نتيجة جيدة، فانك تفكر بترك هذا البلد وما فيه وتذهب الى امريكا؟" قال ذلك والكلمات تتلعثم في فمه بينما كنت أحاول دفع القارب خارج الأعشاب بواسطة المجداف بعد أن غطّسنا شبكة صيد الانقليس، وكان الطين يرتفع بالقذارت صفراء اللون بين سيقان النباتات.

"لماذا امريكا؟"

"حسناً، إنها ارض الاحلام، اليس كذلك، بلاد كبيرة متسعة. لا مجال للطموح في هذا المكان الضيق. كل ما يمكن أن يجده المرء هنا هو اكتراع كؤوس البيرة"

كنت أخشى أن يكون ذلك ادّعاءً، إذ لم يكن ذلك صوته الحقيقي.

"من سيدفع مصاريف السفر؟"

"سنتدبر ذلك. سنجتهد في توفيرها بطريقة أو بأخرى"

"لماذا تجهد نفسك في توفيرها لأذهب الى أمريكا اذا كنت استطيع الحصول على وظيفة هنا؟"

"أعتقد أنني بذلك اعطيك الفرصة التي لم تُعطَ لي. لقد قاتلتُ

لأجل هذا البلد. والآن يريدون سحب حتى رخصة الصيد مني. هل فكرت بذلك باي شكل؟"

"سأفكر بذلك" أجبتُ.

خلال ذلك اليوم، أخذ يشذّب حقل البطاطا بينما كنتُ أبدل صنارات الصيد في النهر واحفر لاستخراج الديدان. التعب من عمل هذه الأشياء لآخر مرة، والضجر لمعرفة اني لن أكون مضطراً لعمل مثل هذه الأمور فيما بعد، سوف أترك كل هذه الأشياء تقريباً الآن. جاء الشعور بالذنب للمغادرة: ساهجر حياته لأبني حياتي أنا، الرجل الذي يجدّف القارب سوف يأكل بأقل ما يمكن من أرباح صيده، دون حتى اي ضمان بامكانية تجديد رخصة الصيد. هيئة السياحة اعترضت على آخر طلب قدمناه. قالوا إننا نُفقر المنطقة التي يرتادها السياح من الأسماك النهرية، السياح الذين يأتون كل صيف من ليفربول وبرمنجهام بأعداد متزايدة ليجلسوا على منصات الألمنيوم على ضفتي النهر ويصطادوا بصناراتهم الصغيرة. الحقل الذي نملك بالكاد يسد رمقنا من دون الصيد.

رأيته عبر الجدار منهمكاً في النقاش مع تاجر الماشية فاريل، بينما كنت ماراً بالديدان حيث يتم خزنها عادة في الطين في مكان مظلم في المراحيض. اتكأ فاريل على عمود دراجته. اجتزتهما في طريقي الى المراحيض معتقداً انهما يتحدثان عن أسعار الماشية، لكن ما إن أفرغت الديدان في الصندوق، حتى سمعت كلمة (موران)، ففتحت الباب لأستمع. كان صوت ابي صاخباً.

"أعرف، لقد سمعت الرقم تحديدا. فقد حصلوا على عشرة آلاف دولار عندما قُتل لوك. حياة كل جندي أمريكي مؤمنة بعشرة آلاف دولار"

"لقد سمعت انهم يحصلون على مائتين وخمسين دولاراً كل شهر عن

مايكل وسام، طالما هما في الخدمة" أكمل.

"إنهم يشترون الماشية عن اليمين والشمال" جاء صوت فاريل بينما اغلقتُ الباب ووقفتُ في الظلام وسط روائح البول والقذارات، وكانت حرارة المكان تفوح بروائح الديدان التي تزحف في الطين.

كانت الصدمة الحقيقية هي تلك التي تلقيتها لاحقاً عندما قمت بذلك التصرف الأرعن، حين أهنت كرامتي واضطررت الى الزحف الى المراحيض للتفكير.

جثة لوك موران جاءت من كوريا في تابوت تعيس، وقد عبرت الجسر الصخري في جناز بطيء بسيارات كبيرة من السفارة تسير خلفه، كان التابوت مكسواً بالنجوم والخطوط. أُطلقت بضع طلقات نارية فوق القبر قبل أن يهيلوا عليه التراب. كانت هناك بعض الصور له بالأوسمة والنياشين أُرسلت الى عائلته مع البريد العسكري.

سيجتهد في توفير تكاليف السفر، سأُجنّد هناك، وسيقبض حفنة دولارات كل شهر طالما انا في الخدمة، وسوف يحصل على عشرة آلاف دولار اذا قُتلت.

في ظلمة المراحيض بين صناديق الديدان، قبل اطلاق شباك الانقليس الليلية عرفت ان شبابي قد انتهى.

جدفت بالقارب بينما أخرج هو الشباك الليلية، أصابعه تلاعب الحبال بشكل جميل جداً فتبدو كأنها في حركة واحدة. كان الظلام يقترب من عتمة (أوكبورت) الى مرفأ (نوتلي)، الخفافيش تحوم حولنا بشكل قبيح، اجنحة البط تخفق بينما هي تعود الى اقنانها.

"هل فكرت بما قلته لك بشأن الذهاب الى امريكا؟" سألني دون أن يرفع عينيه عن الشباك وصندوق الديدان.

"نعم فكرت"

غطس المجدافان في الماء دون طرطشة، وكانت الدوامة تتسع بهدوء وهي تصل الى مؤخر القارب.

"هل قررت أن تغتنم الفرصة، إذن؟"

"لا، لن أذهب"

"لن تقول بعدئذ اني لم امنحك الفرصة. حين لن تحصل على أي شيء في هذا البلد الغبي، ستكون مشكلتك وحدك".

"ستكون مشكلتي وحدي" أجبت. ثم سألت بعد صمت طويل: "كلما تقدم بك العمر أكثر، هل تعاودك كثيراً أيامك التي قضيتها في الحرب وفي السجن؟"

"نعم، ولا اريد الحديث عنها. الحديث عن الاعدام يعكرني الى اقصى حد، تلك الازرار اللعينة التي انفجرت في الهواء. وأكثر ما أفكر به هو لو أني توليت حروبي الخاصة، وتركت هذا البلد البائس يدافع عن نفسه بنفسه، لكنت اليوم أفضل حالاً بكثير. لا أريد الحديث في هذا الموضوع".

عرفت أن هذا الصمت سيبقى الى الأبد بينما كنت أجدف بصمت الى ان سأل: " تعتقد أن هذه الليلة ستكون أفضل؟"

"انها هادئة جداً" أجبت.

"إلاّ إذا ما هبّت رياح الليل" قال بقلق.

"إلاّ إذا ما هبت رياح الليل" كررت.

بينما كان القارب يتحرك فوق المياه الهادئة والشباك تنزلق بين أصابعه، لم أشعر من قبل بمثل هذا القرب منه، ولا حتى عندما كان يحملني فوق كتفيه بين حشود الناس في المباريات. كل حركة يأتي بها اتابعها بقرب، كما لو أنني أنا الآخر أعدّ نفسي لجريمة.

# كليندا آدمز

في أغلب كتاباتها، تغوص الكاتبة الأسترالية كليندا آدمز في تعقيدات عقل الإنسان، تلتف حول ماضيه لتطوق القارئ بقوة وتصعقه بالواقع. وتلوح في كتاباتها مفاهيم الحياة والثقافة الأسترالية على الرغم من أنها عاشت سنوات عديدة في أمريكا وأوربا، قبل أن تستقر نهائياً في سدني، حيث تحاضر في جامعتها حول الكتابة الإبداعية.

ولدت آدمز عام ١٩٣٦ في سيدني، ودرست الثقافة الآسيوية ـ الأندونيسية، بعدها هاجرت إلى نيويورك ودرست الصحافة هناك، ثم بدأت الكتابة الأدبية. صدرت لها مجموعتان قصصيتان وأربع روايات. حصلت روايتها الأخيرة "ذو الساق الطويلة" على جائزة (بانجو) الوطنية للكتّاب. القصة التالية نشرت ضمن مجموعة قصصية صدرت عن دار فيبر آند فيبر اللندنية تحت عنوان "قصص معاصرة عن الطفولة".

# كذبات

أحياناً أكذب، وأحياناً أقول الحقيقة فعلاً، لكنني أبداً لم أقصد الإيذاء. أريد فقط إسعاد الآخرين وجعلهم مسرورين.

**أبي:**

كان أبي أول رجل في عائلته يجلس على المكتب من الاثنين إلى الجمعة، ويستعمل عقله لإعالة زوجته وأطفاله. أيام الأحد يجلس على رأس المائدة ويقطع اللحم المحمّر.

في أحد الأيام جاء عمّي روجر. كان بحاراً وكان قد استقال من البحرية مؤخراً. قال إنه لا يريد رؤية أية سفينة طالما هو على قيد الحياة، ولا حتى قارب تجديف في بركة. قال إنه يريد وظيفة ثابتة في مكتب، مثل وظيفة أبي، حيث يجلس وراء المكتب من التاسعة إلى الخامسة. كان يريد أن يقابل فتيات بعد العمل ويأخذهنّ إلى السينما. أن ينام بأمان في سرير ناعم لا يتأرجح. أخبرنا كل ذلك خلال العشاء.

قال أبي إنه سوف يساعد العمّ روجر في إيجاد وظيفة مكتبية، لأنه أخوه، لكن عليه أن يبدأ من القاع، ثم يجد طريقه إلى الأعلى. قال أبي إن على العمّ روجر أن يتعلم كيف يأكل بدون ضجة، وأن لا يتحدث وفمه ممتلئ بالطعام، وقال أيضاً إن العمّ روجر ربما يبقى معنا أثناء البحث له

عن وظيفة، وفي نفس الوقت عليه أن يتعلم آداب المائدة وأن لا يقول...: هيه..أنت، أو ياعيس (عيسى) المسيح.

" إيتي ستعلّمكَ" قال أبي ثم استدار ناحية أمّي. "أليس كذلك يا إيتي؟".

"أوه جو، من أين لي الوقت!" قالت أمّي وقد احمرّ وجهها من الخجل. أخذتْ الأطباق إلى المطبخ.

بينما كانت أمّي في المطبخ قال أبي للعمّ روجر بصوت منخفض: "وإذا كنت تريد فتاةً، لتخرج معها إلى السينما وغيره، فدائماً هناك جارتنا ماكسين".

" ليسَت فتاة" قلتُ. "إنها امرأة، وأمّ".

"إنها سيدة" قال أبي، وغمز للعم روجر. "ماكسين سيدة بالتأكيد، أؤكد لكَ ذلك شخصياً".

هزّ العمّ روجر كتفيه بلا مبالاة "وماذا أفعل بإمرأة مع طفلة عمرها عشر سنوات؟" ثم انفجرا ضاحكين، ابي والعمّ روجر.

"جوانا ليست مجرد طفلة" قلتُ. "إنها صديقتي المفضلة. وانا أنادي مكسين، بالعمّة مكسين".

عادت أمي بفطيرة الرز، وتحدثنا عن توضيب الغرفة الخلفية ليبقى فيها العمّ روجر، أثناء بحثه عن وظيفة وتعلّم أصول الاتكيت.

**العمّة مكسين:**

بعد الغداء جاءت العمّة مكسين وجلست مع امي وأبي والعمّ روجر تحت الصفصافة خلف المنزل. كانت الحرارة ثلاثين درجة تقريباً في الظل.

كان العمّ روجر يرتدي بنطلون العمّل القديم وفانيلا، وكان يتصبب عرقاً. أبي كان بقميص أبيض وربطة عنق رمادية وبنطلون بدلته الزرقاء الغامقة، كما لو انه ينتظر تليفون طوارئ من المكتب.

أمي ارتدت فستاناً قطنياً بالإضافة الى صدرية المطبخ. العمّة مكسين ارتدت بلوزة سوداء بدون أكمام وسروال برمودا أزرق براّقاً. رمت نفسها بتثاقل على الكرسي ومدّت ساقيها وتذمرت من الحرّ.

قال لها أبي: "مكسين، أخبري روجر، كيف أنه لا يجوز أن يرتدي هذه الفانيلا الداخلية إذا أراد أن يصبح جنتلمان وله وظيفة جيدة ويتزوج من سيدة ويستقر".

نظرت العمّة مكسين الى صدر العمّ روجر وذراعيه وبنطلونه ثم قالت: "أوه، لا ادري، إنه يوم حار، ويوم أحد، يوم للراحة، ونحن نجلس في الخلف حيث لا أحد يرانا ". مالت قليلاً ثم أعطت العمّ روجر لكمة على ذراعه وضحكت. ضحك العمّ روجر.

لكن أمي نهضتْ وسألتْ عمن يريد الشاي بالحليب أو يريده بدونه. ثم ذهبتْ الى الداخل.

بعد ذلك قالت العمّة مكسين: "حتى الجنتلمن يرتدون الفانيلات، وفي أوقات أقل من ذلك". ضحكت مرة أخرى ونقرت على ركبة أبي بأصابعها.

**جوانا:**

جوانا وأنا وقفنا في الشمس لنصنع ظلالاً، وحيث اسمي جوزفين، ثم اسم أبي جوزيف، واسمها جوانا، وحيث انها تصغرني بثمانية أشهر فقط. فقد ادعّينا أننا أخوات، وأحياناً، توأم.

وقفنا في الشمس وكونّا ظلالاً تتحرك معاً. "انظر إلينا، جوانا وأنا" قلت لأبي. "نحن توأم".

"ما هذا الكلام؟ ما القصة؟" قال أبي. "الشمس تضرب رأسيكما" قالت العمّة مكسين. "تعالا الى الظل".

**أمـي:**

علّمت أمي العمّ روجر أصول الأتكيت. كان يحكي لها قصصاً عن البحّارة، وكانت تصحّح له قواعد اللغة. أحياناً عندما أعود من المدرسة أجلس بهدوء في المطبخ وأصغي. كانا جالسين في البلكونة الخلفية بجانب بعضهما على الكنبة القديمة التي تنتظر أن نتخلص منها. كانا يضحكان أغلب الوقت، خصوصاً أمي التي عادةً تكون مبتسمةً فقط.

"هذا هنا لوح" قال العمّ روجر.

"كان هنالك رجل" قالت أمي مصحّحة.

"كان هنالك رجل، عنده سيدتان كبيرتان، الشقراء لصقت في سنغافورة والسمراء تعيش في هونغ كونغ" قال العمّ روجر.

"كان هنالك رجل لديه زوجتان، واحدة بشعر أشقر مقيمة في سنغافورة، والأخرى ذات الشعر البني مقيمة في هونغ كونغ" قالت أمي ثم قهقهتْ.

عندما رأتني قفزتْ من مكانها، ثم طلبت مني أن أقترب وأحكي للعمّ روجر ماذا تعلمتُ في المدرسة، خصوصاً قواعد اللغة. "وليس أيّ من قصصك"، قالت لي. وللعمّ روجر قالت : "ولا تخبرها أيّاً من قصصك أنت أيضاً".

بينما كانت أمي تجهز العشاء جلسنا أنا والعمّ روجر على الكنبة وتحدثنا، وضع ذراعه حولي، ناداني بـ"حلوتي". مرة علّمني المصارعة الهندية.

وفي ظهيرة أحد الأيام، كنت عائدة الى البيت، سمعت ضحكات العمّ روجر عالية وآتية من بلكونة العمّة مكسين الخلفية. ووجدت أمي وحدها في بلكونتنا الخلفية تقشّر البازلاء وتزيل عنها خيوطها. نادتني وأجلستني بجانبها.

قالت: "الآن أريدك أن تخبريني الحقيقة" قالت. "هل حدث أن أخذ العمّ روجر حريته معك أكثر من اللازم؟".

نظرتُ إلى وجهها عن قرب لعلني أجد الجواب الذي تبحث عنه. "ماذا تقصدين؟".

"هل حدث أن احتضنك؟ أو هل جاء لغرفتك بينما أنت في السرير، أو أي شيء من هذا القبيل؟".

ففهمتُ عن ماذا تسأل. "أوه، بالتأكيد، عدة مرات، هو دائماً يحتضنني ويقبلني".

وضعتْ الجريدة والبازلاء على الأرض بجانب قدميها وأخذتني بين ركبتيها وعانقتني وقبلتني. "عليه أن يغادرنا" قالت.

"لكنني أحبّ العمّ روجر، لا أريد له أن يذهب".

توقفتْ أمي عن عناقي وأطلقتني على بعد ذراع منها. "كنت أمزح"، قلت. "وأنا لا أحبه، وأريده أن يرحل بعيداً عنّا". فحضنتني أمي مرة أخرى.

فيما بعد، سمعتها تقول لأبي إن على العمّ روجر أن يغادرنا، "فهو يحضنها ويلامسها" قالت. "إنه فاسق".

"يلامس من؟ مكسين؟" قال أبي.

"ابنتكَ" قالت أمي، بنعومة، الاّ أنها كانت غاضبة كما لم أرها من قبل.

أخيراً قال أبي "آه، حسناً، سأخبره ذلك في الصباح".

**العمّ روجر:**

قررت أن أسعد أمي وأبي وأخلّصهما من العمّ روجر. نهضتُ من السرير وتسلّلت إلى غرفة العمّ روجر. كان قد تأخر على العشاء عند العمّة مكسين، ودخل منذ حين. كان جالساً على سريره. "أهلاً حلوتي"، قال لي. "أهلاً"، قلتُ. "أتعرف ياعمي، إننا سنحتاج هذه الغرفة".

ردَّ قائلاً: "ماذا تقصدين؟" توقف عن خلع حذائه ونظر إليّ. "حسناً، سيكون لي أخ صغير في المستقبل القريب، وسيحتاج هذه الغرفة".

اعتدل العمّ روجر في جلسته. "ماذا تقصدين؟"، قال ووضع يديه على كتفي ونظر إليّ عن قرب.

هززتُ كتفي: "آه، تعرف كيف، واحد من تلك الأشياء، انه، سرّ، فأمي لا تريد لأحد أن يعرف".

وفي الصباح التالي عندما استيقظنا كان العمّ روجر قد رحل مع حقيبته، غادر دون أن يقول لنا شكراً على ضيافتكم، وقرر أن يظل بحاراً بعد كل شيء.

**تَرنس:**

أخبرني أبي أنه سيكون لي أخ صغير اسمه ترنس. ستعود أمي معه الى البيت بعد أيام. قال. "ألستِ سعيدة، سيكون لكِ أخ؟".

"لا"، قلتُ. "أنا أصلاً عندي جوانا، أختي".

"حذرتك من قصصكِ تلكَ"، قال أبي. نظر إليّ كما لو أنه يريد أن يضربني، لكنه استدار ومشى بعيداً عني.

"وهذا الصغير ليس بأخي الحقيقي، على الإطلاق" صرختُ خلفه. استدار راجعاً باتجاهي. "ماذا تقصدين؟". انحنى حتى أصبح رأسه بمستوى رأسي، نظرتُ إلى عينيه باحثة عن معنى لما قلتُ: "حسناً"، قلتُ. "انه ليس أخي الحقيقي لأنه ابن العمّ روجر، انه ابن العمّ روجر".

**أنـا:**

في المدرسة، طلب منّا المدرس قصة العائلة، أو، إذا أردنا، نكتب كيف قضينا العطلة الصيفية. قررت أن أكتب قصة عائلتي، وهذا ما كتبتُ:

"لدي أب، أم، العمّ روجر، العمّة مكسين. وهنالك أيضاً جوانا والصغير ترنس، اللذان يقربان لي بطريقة أو بأخرى. في البداية عشتُ مع أمي وأبي، جوانا تسكن بجوارنا مع أمّها العمّة مكسين، ثم جاء العمّ روجر، بعد ذلك جاء ترنس، وكل شيء تغير. الآن، أنا أعيش مع أبي والعمّة مكسين وجوانا، وترنس يعيش مع أمي والعمّ روجر بعيداً، في مدينة فان كوفر".

ناداني المدرس، ضرب بأصابعه على المكتب. "الآن أنا سألتُ عن القصة الحقيقية لعائلتك، سيرة عائلتك، وليس عن قصة خيالية". انحنى قريباً منّي ونظر في وجهي. "هذه ليست القصة الحقيقية لعائلتك، أليس كذلك؟ أنت اخترعتها، أليس كذلك؟".

نظرت إلى عينيه للحظة ثم أجبتُ :"نعم، أنا أخترعتها كلها. اعتقدتُ أن ذلك ما تريدنا أن نكتب". عاد إلى مقعده وأطلق نفساً عميقاً ثم ابتسم. "سوف أتجاوزها هذه المرة" قال، وقرص خدي بلطف. "لكن المرة القادمة عندما أقول أريد الحقيقة، يعني يجب أن تكتبي الحقيقة، ولا مزيد من القصص من هذا النوع. اتفقنا؟".

# إيفان فلاديسلافيتش

ولد إيفان فلاديسلافيتش في بريتوريا عام ١٩٥٧ وتخرج من جامعة ويتواترسراند بمرتبة الشرف في ١٩٧٩.

يعمل في جوهانسبرج محرراً حراً، وعضو هيئة تحرير لدى Ravan Press. نُشرت قصته (مات رئيس الوزراء) لأول مرة في مجلة Tri-Quarterly عام ١٩٨٧، ونُشرت بعد ذلك في The English Academy Review عام ١٩٨٨، ثم نشرت كقصة أولى في مجموعته (أشخاص مفقودون) عام ١٩٨٩. صدر له بعد ذلك مجموعة قصصية بعنوان (ميدان سوهو الخامس) ومجموعة أخرى أعقبها بروايته (الحماقة) الصادرة عن دار ديفيد فيليب في كيب تاون ودار سيريف في لندن.

# يوم قتلوا رئيس الوزراء

لقد قتلوا رئيس الوزراء هذا الشتاء.

كنتُ في العاشرة من عمري. انتقلنا تلك السنة انا ووالداي الى بيت في ضاحية جديدة. جدتي انتقلت معنا. جدي كان يقول انه رجل مسنّ لا يستطيع الانتقال، لذا سوف يبقى في البيت القديم. أعطانا صندوق بريد، ورقماً بلاستيكياً لبوابة البيت وتمنى لنا حظاً موفقاً في سكننا الجديد.

كان بيتاً عادياً. ثلاث غرف نوم، صالة وغرفة طعام. لا تماثيل، لا أرصفة سيئة. مجرد ممر اسمنتي بسيط يصل من البوابة الامامية الى درج الفرندا. تمهيد ورصف الممر اول مهمة كبرى كان علينا انا وأبي القيام بها.

عندما انتقلنا الى البيت، كانت لا تزال رائحة الخشب والطلاء تفوح منه. هناك كثير مما يجب عمله: يجب احكام أطراف أرضية الغرف، مسح البصمات من على زجاج النوافذ، ازالة لطخات الطلاء من ارضية الحمام والمطبخ.

كانت الحديقة مثل حقل صغير بأشجار متناثرة. فقد ضرب البناءون سوراً حول قطعة أرض مربعة وأزالوا من الأشجار ما يكفي لبناء البيت مكانها. الطريقة الوحيدة لإزالة الأعشاب هي قلعها من الجذور. لم يكن قلعها ممكناً بالمسحاة فقط، فستعاود النمو من جديد. لذا يجب أن تُقلب الأرض أولاً بالشوكة حول كل حزمة منها، تفكك التربة، يثبت خرطوم

المياه خلال الجذور، تفتح المياه بقوة لإزالة الطين من حولها. ثم تسحب الأعشاب الى أن تخرج من الأرض كلياً. اضغط الطين المتبقي في الأرض، واجمع كل الأعشاب في العربة، ثم ادفعها الى كومة الركام المتكدس في الخلف.

هذا ما كنا أنا وأبي نفعله في ذلك اليوم الذي قُتل فيه رئيس الوزراء. كنتُ أفكك التربة بينما يسحب أبي العشب من الأرض.

كان يرتدي زيه العسكري. دائماً يفعل ذلك عندما نشعل الحرب ضد الحديقة. كانت جدتي جالسة على الكرسي الهزاز في الفرندا، تحيك واحدة من قطعها الصوفية المربعة الكثيرة والتي سوف تجمعها معاً في الأخير لتصنع منها بطانية. كانت تصغي للراديو بصمت، خلال سماعات صغيرة في أذنها. كنتُ أدفع العربة مليئة بالأعشاب الى خلف المنزل، بينما كنتُ ماراً ناحية جدتي، فتوقف كرسيها عن الهزّ للحظة.

مربع صغير ملوّن سقط على الأرض. رفعت جسدها الضخم عن الكرسي ووقفت مترنحة قليلاً، ولا تزال أذنها موصولة بالراديو... ثم جأرت بصوت عال: "لقد مات رئيس الوزراء، أحدهم قطع رأسه".

لقد حملت تلك الفكرة معي، مثل بذرة خوخ على خدي، بينما كنت أدفع عربة اليد إلى باحة المنزل الخلفية ثم ألقي بالأعشاب في الحفرة التي حفرناها أنا وابي قبل اسبوع.

أرى الآن أن لموت رئيس الوزراء عدة تبعات.

عندما مات جدي ترك لنا حقيبة، فيها شيء لكل واحد منا. ابي حصل على بدلة كانت جداً كبيرة عليه، ومقص لتشذيب النباتات. امي حصلت على بعض الدبابيس وصور قديمة مشروخة مثل الجلد. أما أنا فقد حصلت على قصّاصة اظافر كان أسير إيطالي قد أعطاها لجدي أثناء الحرب.

عندما مات رئيس الوزراء ترك لنا أكوام الطين الذي عملياً يمكن أن ينبت به أي شيء. أكواز الذرة نبتت مرة هناك، وحدها. فكّرت جدتي أن على لازاروس الذي كان يعمل في الحديقة أحيانا، أن يلقي بالذرة الحلوة التي تقدم له كغذاء.

ما إن مات رئيس الوزراء حتى شرعوا بإعادة تسمية الشوارع باسمه، والمحطات والمدارس، حتى الأماكن الترفيهية، ثم أطلقوا اسمه على ضاحيتنا. أرادوا لنا أن نعيش بذكراه.

كانت ضاحية جديدة، فلم يكترث أحد.

عندما عدت بالعربة الفارغة إلى الحديقة الأمامية، كان ابي يقف مشدوداً، وامي تحمل كأس ماء محلى بالسكر لترطب جدتي شفتيها. كانت قد فصلت الراديو عن سماعات جدتي ليمكننا جميعاً سماعه. وكانت قد أنهت حياكة البطانية ذلك المساء، خلال نشرة أخبار السابعة.

يوم دفنّا رئيس الوزراء.

لقد دفنّا رئيس الوزراء في الربيع. أنا وابي كنا نزرع ذلك اليوم، ثلاثين شجرة في ثلاثة صفوف، عشرة أشجار في كل صف. "شرذمة من الأشجار"، كان ابي يسميها. كانت الحفر التي حفرناها عميقة ومستديرة تماماً. حددناها ببوصلة صنعناها من مسمارين، ربطناهما بخيط من الليف طوله ثمانية عشر إنجاً. كان ابي يفكك التربة بالمعول وأنا أزيح التراب خارجاً. كانت الأرض صلبة فكان علينا تليينّها بالماء، وبسرعة تغطت قدماي ويداي بالطين، بينما الحفرة تزداد عمقاً ولون التربة يتغيّر.

قال ابي إن لديه بعضاً من الرمل الصحراوي في ثنايا بدلته العسكرية، يحتفظ به من أيام الحرب. "برايفت،تعال"، قال لي: "امسك طاستك هنا"، فتوجب عليّ أن أضع يديّ متلاصقتين ومقوستين بشكل

الطاسة إلى جانب ساقيه المشعرتين، فيجري شلال الرمل فيهما. "مصبوغاً بالدماء الوطنية"، قال. "إذا كان الرمل أحمر. وناصع البياض مثل عظم تحت شمس الصحراء، إذا كان أبيض".

كانت جدتي جالسة في مقعدها الهزاز، تحت المظلة، والراديو في حضنها. في الساعة الثالثة سيتم نقل مراسم الدفن على الهواء مباشرةً. سيكون هناك شرح تفصيلي لكل المراسم من الكنيسة، مروراً بشوارع المدينة، إلى ساحة الأبطال في المقبرة.

صاحت جدتي: "عفن في التربة، قطعة لحم. يالله العار. تاركاً زوجة وستة أطفال".

"ترك أكثر من ذلك"، قال ابي، ثم موجهاً حديثه لي: "ادخل في الحفرة. هيا".

كانت تلك الحفر لأشجار الفواكه، إذ يجب أن يكون عمقها اربعة أقدام، فكنت أنا عصا القياس. عندما وقفت في الحفرة كانت الأرض بمستوى رأسي تماماً. وضعنا الصخور في قاع الحفرة لتصريف المياه، ثم التربة المسمّدة وبعد ذلك طبقة من الرمل المنخول بواسطة شبكة بوابة قديمة. ثم وضعنا الحصى. طين مرة أخرى ثم رمل. كل طبقة من الرمل يجب أن ترش بالماء جيداً. عندما امتلأت الحفرة تقريباً، اخترنا شجرة صغيرة كانت مسندة في ظل الجدار. وضعنا لافتات صغيرة باسماء الأشجار عند كل منها، لكي نميز كل واحدة عن الأخرى إلى أن تطرح ثمارها.

كل الأشجار كبرت عدا شجرة التين، الثالثة من اليمين، في الصف الخلفي. ظلت واقفة تماماً مثلما وضعناها في الأرض.

جدي كان يأتي مرة في السنة لتشذيب الأشجار. وفي كل مرة يقف

أمام شجرة التين القزمة ويهز رأسه. لكنه قال إنه أمر جيد أن شجرة واحدة فقط لم تنمُ، فالأرض لم تكن صالحة أبداً. لقد أهلكت ناساً.

بعد أن مات تركنا الأشجار تنمو وحدها بشكل غير منتظم، قرفنا من الخوخ والمشمش والمربيات والصلصات، وتركنا الفواكه تكبر وتكبر حتى تنكسر الأغصان، وتسقط الثمار على الأرض وتتعفن فيها.

ستقول امي: "الحمد لله أن العجوز ليس هنا ليرى هذا".

"تعرفون..."، قالت بينما كنا نشرب الشاي. "إن هذا الجناز مناسبة كبيرة، ولا أظن أننا سنرى مثله في حياتنا".

"إلاّ إذا قتلوا رئيس الوزراء الجديد"، ردّ ابي.

"لا تتحدث هكذا أمام الطفل"، قالت جدتي بلهجة شديدة.

"لن يضيره إذا كان ذلك صحيحاً" قال أبي. "إنهم يخلون كل المواقف في هذا الجناز. فرق موسيقية ضخمة، دبابات، طائرات. كل مواطن يخرج بعلم، كل بناية تسدل عليها شارة الحداد. واحد وعشرون طلقة. الآن، إذا قتلوا رئيس الوزراء الجديد، وأعتقد أن ذلك غير مستبعد، فسيفعلون نفس الشئ، أليس كذلك؟ وهذا لن يحدث إذا استقبلوا رئيس الوزراء القادم بحماس أقل".

"ربما كان الأمر كذلك"، قالت امي. "لكن المسألة هي أنه يجب أن لا تفكر بهذه الطريقة. لا يمكن أن تمضي بالحياة هكذا، مستخفاً بالأحداث المهمة في التاريخ، فعندما يأتي أحدها، عليك الإمساك به بكلتا يديك".

أنزل ابي فنجان الشاي، سحب بيريته من على كتفه ووضعها على رأسه دافعاً بها الشعر عن جبهته إلى الخلف. "إلى ماذا ترمين بذلك؟".

"أعتقد أنَّ من واجبنا أن ندع الولد يشارك في مناسبة كهذه. انظر!". اخرجت صفحة جريدة من جيب مريلتها وفرشتها على الأرض.

كانت هناك خريطة يمر خلالها خط منقّط، وكانت هي تتبع الخط باصبعها. "إنها مسافة قصيرة سيراً على الأقدام من هنا، لم لا تنظفان نفسيكما أنتما الاثنين وتأخذ الولد ليشاهد المسيرة!".

حينها أطلقت جدتي صرخة مرعبة.

نهض ابي. "حاضر" قال، ثم قال لي: "لديك ثلاثون ثانية لتغسل يديك وقدميك، بعدها أريدك نظيفاً ومستعداً للخروج".

"يجب أن تغتسل جيداً وترتدي ملابس لائقة"، قالت امي محتجة. "هراء"، قال ابي. "في أوقات الحرب نُعفى من الرسميات. سنذهب كما نحن، ملطخين بالقتال وفخورين به".

غسلت يدي وقدميّ تحت الحنفية، ثم نزلت. تفحصني ابي بسرعة، ثم أمرني بالصعود في عربة الحشيش، أعطاني الجريدة، أخذ مكانه بين المقابض، وتحركنا. قبل أن نختفي من جنب المنزل التفّتُ إلى الخلف. كانت امي تجمع فناجين الشاي في الصينية، وجدتي تلّوح لنا.

عجلة عربة الحشيش المعدنية كانت تقعقع فوق الاسفلت. بدا الصوت عالياً جداً، لأن الشوارع كانت هادئة تماماً وفارغة. أحياناً عندما نجتاز بيتاً ما أستطيع أن أسمع وشوشة الراديو. لكن لا شيء من صخب أيام السبت المعتاد اليوم. لا أطفال يلعبون، لا أحد يغسل سيارة، أو يعمل في حديقة.

لم نتحدث لعدة وحدات سكنية، وعندما وصلنا الى مقهى ثيو، أقصى حدود عالمي، توقف أبي. أخذ الخارطة مني ليدرسها. ثم سألني أن أمسك زاوية منها ثم وبأصابعه الغليظة، وأظافره المحشوة بالطين، أشار لي على الطريق. "علينا أن نتجه جنوباً من هنا لثلاث وحدات سكنية. ثم نتجه غرباً لأربع وحدات اخرى، وسنكون هناك". وتابعنا سيرنا.

الآن، هنا منازل أقل، محلات ومكاتب أكثر. بدأت الشوارع تكتظ بالناس، الكل يسير في نفس الاتجاه الذي نسير فيه. كانوا يرتدون البدلات والملابس الكنسية، يمشون بصمت. بعض الرجال يربط أشرطة سوداء حول ذراعه. عندما وصلنا الى أقدم جزء في المدينة صارت المباني قاتمة أكثر وكئيبة. فهنا أعمدة ضخمة تدعم القواصر الحجرية للمباني، تماثيل قديمة، بأجساد منقطة متآكلة، تحدق بنا من أعلى.

عندما انتهى الطريق الاسفلتي وبدأ الطريق المرصوف بالحصى صارت قرقعة عجلة العربة أعلى وصار بعض الناس يتوقفون ليحدقوا بنا. اتكأت بظهري على جدار العربة بحيث أواجه أبي. كان فكه مطبقاً متحجراً مثل تلك التماثيل. كانت عيناه تنظران بصرامة الى الأمام. ثم أنا أيضاً صرت أنظر الى الأمام مثل أبي محاولاً أن أعكس تعابير وجهه على وجهي.

توقفنا بسرعة عند كشك حيث أخذ كل منّا علماً صغيراً. ثم تحركنا بسرعة، وعند نهاية الوحدة السكنية كان بامكاني رؤية جدار بشري من السواد يشق طريقه، مع بقع ملونة - ألوان الأعلام- والعديد من الوجوه الشاخصة كلها باتجاه واحد. بعض تلك الوجوه استدارت الى الخلف بانزعاج عندما اقتربنا من الحشد. وقفنا خلف جدار من الناس فحملني أبي على كتفيه ثم صعد هو الى العربة.

"وصلنا في الوقت المناسب"، قال.

كان الجدار البشري قد حجز عنا الصوت واللون، لكننا الآن وقد صرنا فوقه، نستطيع أن نرى جنازاً متألقاً، براقاً، لا يعترض سيره شيء. ونسمع الموسيقى.

كان الجناز يقترب ببطئ. في المقدمة كانت كتيبة من شرطة المرور، وكانت الشمس تسطع على زجاج مقدم دراجاتهم النارية، وأحذيتهم

الجلدية اللامعة وقفازاتهم. ثم يأتي رئيس الطبالين، مكتسياً بجلد النمر، ثم الفرقة الموسيقية بأدواتها المنتصبة، خلفها جماعة أخرى، فرقة من الجنود، تمشي ببطء. ثم العربة التي تحمل رئيس الوزراء، في تابوت مغطى بالعلم، فوق حاملة مدفع، كما لو كان سلاحاً سرياً استولي عليه من العدو. خلفه كتيبة أخرى من الجنود، وخلفهم دبابات، وخلفها عدد آخر من الجنود على مدّ البصر.

هذه الحركة المهيبة، هذه الموسيقى، المهيّجة، طوقت من كل جانب بجمهور الحادّين المتجمد.

عندما اجتازتنا أول مجموعة من الجنود، رفع ابي ذراعه في تحية صارمة. انا لوحت بعلمي. الرجال حولنا كتموا انفاسهم وحدقوا إلى الامام. بعض النسوة كن يُلطمن برفق على اعينهنّ بالاعلام الصغيرة. طفل صار يبكي.

ثم، بينما صارت عربة المدفع بمستوانا، بدأت تنخع وتهتز ثم توقفت. خرجت غيمة من الدخان الأسود من انبوب العادم.

تلعثم الجنود في الخلف. المجموعات الأمامية صارت تراوح في مكانها، والذين في الخلف راحوا يمشون ببطء وهدوء نحو اولئك الذين في الأمام. اندفع بعض الرجال إلى عربة المدفع.

المجموعة الأولى من الجند واصلت سيرها، بينهم وبين العربة المتعطلة فجوة صارت تتسع أكثر وأكثر. نزل سائق تلك العربة بسرعة وفتح غطاء المحرك، ثم انشغل بمعالجته. في الخلف كان الجنود مرتبكين ويسعلون من الدخان، وعربة المدفع صارت غير مرئية تماماً.

غير ابي وقفته، قفز من عربة الحشيش وانحنى جاثماً لكي انزل من على كتفه.

"برايفت، يجب أن نقوم باللازم".

اخذ عربة الحشيش، وقد فهم الناس مهمتنا، فأفسحوا لنا لنستطيع المرور. كان التابوت ثقيلاً. والجنود صاروا على مسافة منا. بدأنا العمل، راح ابي يدفع عربة الحشيش بينما امسكُ أنا بالتابوت كي لا يميل، وصار الجمهور يلوّح لنا. للحظة التّف العلم بعجلة العربة، وكان التابوت يترنح وهو على وشك السقوط، ولهاث ابي يزداد مع الوقت إلى أن أدركنا مجموعة الجنود، وأخذنا مكاننا وصرنا نمشي مع ايقاع الموسيقى البطئ.

نظرت إلى الخلف لأرى الجمهور الذي اصطف في الشوارع وقد اندفع خلفنا وصار يتبعنا. على سطح تلك الموجة الداكنة كانت الأعلام والوجوه تتمايل.

خارج المقبرة وقف رجل بقفازات بيضاء، أشار للفرقة الموسيقية والجنود بالوقوف جانباً في المكان المخصص، ثم قام بتوجيهنا كي نتقدم إلى الأمام مباشرة خلال البوابة الحديدية، عبر الممر الصخري المؤدي إلى القبر.

على جانبي الطريق تبرز وجوه متحجرة لرجال من كتب التاريخ تنظر إلى اسفل بلا حركة ولا رمشة. القبر والشخوص السوداء المجتمعة معاً، ورجل بكتاب مطوي تحت ذراعه وعدد من كبار الضباط وقفوا كما وقف الناس على حافة القبر. كان ابي يمشي بخطوات واسعة على بعد مسافة، وكان عليّ أن أركض لمساعدته. ارتجّ التابوت بعنف. فراح ابي يركض. وقفتُ، كنتُ ألهث، ونظرت إليه. ركض باتجاه الحفرة. الناس على جانبي القبر فغروا أفواههم.

رفع الرجل ذو الكتاب يده مثل شرطي مرور. ركض ابي. في اللحظة الأخيرة، على حافة القبر تماماً، غرس حافة العربة المعدنية في الأرض ودفع التابوت، ثم تنهد بارتياح.

# سام شيبَرد

إضافة إلى القصة، كتب الأمريكي سام شيبَرد ٤٥ مسرحية، اثنتا عشرة منها فازت بجائزة (اوبي). عام ١٩٧٩ منح جائزة (بولتزر للدراما) على مسرحيته "الطفل المدفون"، وفي عام ١٩٨٤ فاز بجائزة (الاوسكار)، وفي نفس العام فاز بجائزة مهرجان (كان) على مسرحيته التلفزيونية "باريس، تكساس).

انتخب عام ١٩٨٦ للاكاديمية الامريكية للفنون والآداب، ويرى النقاد في أعمال سام سيبرد فسيفساء رفيعة من الحوار، الصورة، الفانتازيا والواقع في تجانس أنيق غالباً لا يخلو من الكوميديا، بينما يرى آخرون أنه جمع اسلوبي صمويل بيكيت وهمنجواي معاً في ابداع نصوص سينمائية ومسرحية في ذات الوقت.

# أيام العتمة

**١٩٤٣:**

انشىء مكتب التعبئة العسكرية.

عُين آيزنهور قائداً أعلى لقوات الحلفاء.

استقال موسوليني.

ألقى ابي قنابل فوق إيطاليا.

ولدتُ أنا.

بلا ادراك.

**١٩٤٣:**

كان هناك فندق صغير في الضاحية الجبلية لإيداهو. بشفرة سرية خاصة، استطاع ابي تمريرها لأمي عبر بطاقة بريدية، واستطاعت فكّ الشفرة ومعرفة رقم الغرفة والوقت الذي سيلتقيان فيه بالتحديد. (لا يفترض بأي طيار أن يفشي معلومات تحركاته حتى لأقرب شخص إليه). كان الفندق يمتد على شكل حدوة فرس بوحدات سكنية صغيرة متشابهة تحيط ببركة اسمنتية ضحلة مليئة بالاسماك، متوهجة بخضرة باهتة من الضوء المتدفق من وسطها. وكان هناك كرسيان معدنيان بمواجهة البركة، تحت شجرتي بامبو بيضاوين. جلست امي على أحد

الكرسيين، بثوب منقوش بالورود احضرته من الفليبيين حينما توقفنا هناك قليلاً. وتضع زهرة وردية في شعرها الأسود الناعم، وكانت متكئة إلى الأمام، واضعة مرفقيها على ركبتيها، تنظر مبتسمة إلى الأسماك، كان لها ابتسامة صبيانية مغرية، لاحظتها حتى قبل أن استطيع الكلام بأي لغة بعد، بل إني لم أكن أستطيع... لم أكن لاستطيع السيطرة على أمعائي. وكان ابي جالساً على الكرسي الآخر بزيه العسكري الكاكي وخوذة الطيران ذي الحافة الجلدية، بينما أجلس على ركبتيه، محدقاً تحت بالأضواء الخضراء التي تومض في البركة. كان الهواء ساكناً جداً ومفعماً برائحة البامبو، وكانت هناك نجوم متناثرة في السماء.

**١٩٤٣:**

"سيكون مجيئك إلى البيت رائعاً..."

"لا تبتعد كثيراً بعد الآن".

"ذلك السحر الأسود القديم أوقعني"

"تعال، مرتحلاً على جناح السرعة"

**١٩٤٣:**

امي تشير إلى سمكة صفراء وتتابع سيرها باصبعها، محاولة جذب انتباهي إلى تلك السمكة بذيلها الطويل المتهدل. "مثل عصفور" قالت بصوت عذب ملئ بالدهشة. "تماماً مثل عصفور انظر! ها قد ذهبت!"... انحنى ابي إلى الأمام، استطيع أن أشعر بالكرسي يرتخي تحته، ثم عاد واتكأ إلى الخلف مكرراً ذلك عدة مرات، وخده الخشن احتك بخدي بينما كان يحدق تحت المياه الخضراء، ونياشينه الفضية والميداليات العسكرية دخلت في مؤخرتي. فجأة هب نسيم بارد من الجبال أخذ أنفاسي بعيداً.

**١٩٤٣:**

بطاقات الأحذية*

بطاقات اللحمة

بطاقات الجبن

لا زبد.

اعلان روزفلت ٤٨ ساعة عمل اسبوعياً.

استسلام الجيش الألماني للروس.

صارت امي أكثر حيوية ومرحاً تجاه تلك السمكة، جثمت على ركبتيها الآن على العشب، متكئة على حافة البركة، تقهقه وتؤشر بحيوية، مسدلة شعرها إلى الخلف بعيداً عن وجهها. الزهرة الوردية طارت من على رأسها وقفزت قريباً من عينيّ، فحاول ابي امساكها مرخياً يديه عني.

الآن أنا أطير، محلقاً باتجاه البركة اللامعة، والزهرة الساقطة. صرت معلّقاً، اراقب الزهرة تلمس السطح برفق دون أن تغطس، وتدور مثل راقصة باليه، مباشرة قبل أن ارتطم بأمواج الضوء الخضراء، وبطانيتي طفت بجانبي.

**١٩٤٣:**

احداث شغب في ديترويت، هارلم وتكساس.

فوز الكونت فليت بالتاج الثلاثي.

جيمس كاجني غنّى "يانكي دودل"

---

* المقصود هنا بطاقات التموين التي توزع على العائلات أثناء الحرب . و"يانكي دودل" اغنية شعبية اشتهرت أيام الثورة الأمريكية .

**١٩٤٣:**

رأى ابي كابوساً على أحد السريرين في الغرفة بذلك الفندق، في الضاحية الجبلية في ايداهو.

انا نائم في قاع الجارور، الذي سُحب من محله ووضع على السجادة. كانت امي تأخذ حمامها في هدوء. وبطانيتي كانت تُجفف على النافذة. أستطيع أن أسعمها تقطر. ابي يرى القنابل تمطر على إيطاليا. إنه يرى تلك القنابل تصغر وتصغر تحته. تسقط بعيداً عن قدميه المتعرقتين نحو الحذاء الإيطالي*. يرى وجوهاً كاريكاتورية مرسومة على تلك القنابل: وجوه شريرة، شياطين، تتضاءل، تسقط بعيداً. يرى يده البيضاء تمتد خارج نافذة قمرة القيادة، محاولاً بيأس الإمساك بتلك المخلوقات الكاريكاتورية المتوحشة قبل أن تحطم وجه إيطاليا المقفر.

**١٩٤٣:**

موت رحمانينوف.

اكتشاف الستريبتومايسين**.

المعرض الأول لجاكسون بولوك.

"الرب معيني" كان الأكثر مبيعاً.

أنا ولدت.

بلا ادراك.

---

* المعروف أن خارطة إيطاليا تشبه الحذاء الطويل بكعب عالٍ .

** عقار مضاد للجراثيم يشبه البنسلين .

## مجرد فضاء

لا، ماما، انا لا زلت في ساوث داكوتا.
اوه، هذا صحيح. غندورك اتصل بي من هناك
صحيح؟ ماذا كان يريد؟
قال إنه افتقدك مؤقتاً.
هو ليس "غندوري" ماما، إنه زوجي.
اوه، صحيح.
ثم إنه ليس مؤقتاً أيضاً. إنه إلى الأبد.
ما هو؟
الفقد.
اوه. حسناً، متى سترجعين إلى البيت إذن؟
لقد وجدت وظيفة هنا. أنا أعمل ثانية.
لماذا تفعلين هذا؟
لقد انفصلنا. أنا بحاجة إلى بعض المال.
أنت وغندورك؟
زوجي،ماما!
انتما لستما معاً؟
هذا صحيح. لقد انفصلنا إلى الأبد. كما اخبرتك.

متى حصل هذا ؟
منذ بضعة أيام. في الحقيقة أكثر من ذلك.
ماذا كان؟
انفصال.
اوه، لم أعلم بذلك. لا أصدق.
نعم. على أية حال. أنا أعمل الآن.
حسناً، ما نوع العمل الذي تعملين ؟
أعمل لدى "هبي تشيف".
وما هذا ؟
مطعم، ماما. أنا جرسونه مرة أخرى.
هبي تشيف. لم أسمع به من قبل أبداً.
إنه هنا، وليس هناك.
لم أسمع به. كيف هو، ديري كوين أو شئ مشابه؟
شيء كهذا. نعم.
لم تعملي هذا العمل من قبل. أليس كذلك؟ جرسونة؟
نعم. ألا تذكرين، عند البحيرات ذلك الصيف؟
أوه. كان ذلك منذ زمن بعيد. أليس كذلك؟
أعتقد ذلك.
لا أذكر أنك كنت جرسونة هناك.
نعم. كنت ألبس زياً أزرق، هل تذكرين؟ هذه المرة بني.
أي مرة؟
هذه المرة، حيث أعمل الآن. ألبسه طول الوقت. أنا فعلاً أحبه كثيراً. وقد حصلت على بطاقة جديدة أيضاً، باسم جديد.

ماذا تعنين باسم جديد ؟
ريتا. لقد غيرت اسمي إلى ريتا اولسن.
أي اسم هذا ؟
نصف اسباني ونصف سويدي. خطر لي هكذا.
أنت لست اسبانية أو حتى سويدية.
أعرف. اخترعته فقط.
حسناً، لا يمكنك تغيير اسمك هكذا، كيف فعلت؟ فقط لخاطرٍ في مزاجك؟
لم لا ؟
لماذا تريدين تغيير اسمك في هذا الوقت المتأخر؟
إنه للتخفي فحسب.
تخفّي؟
حتى لا يستدل على مكاني.
لقد كان يبحث عنك؟
لقد حاول اطلاق النار عليّ.
لا! يا إلهي!
نعم، فعل ذلك. أطلق رصاصة على زجاج سيارتي الأمامية.
هل أنت بخير؟
نعم، بالتأكيد. لقد أخطأني على بعد ميل. تعرفين، كل تلك المسدسات التي يحملها معه دائماً ,ولا يعرف التصويب.
هل أبلغت الشرطة عنه؟
لا. لن يحاول مرة أخرى.
كيف تأكدت من ذلك؟
مجرد إحساس.

حسناً، أعتقد أن عليك إبلاغ الشرطة لتعتقله. لا يمكن أن يظل هكذا يطلق الرصاص على الناس. هذا غير صحيح.

الأمور تختلف هنا.

متى سترجعين إلى البيت؟

لا أدري، ماما.

لماذا تواعدين رجلاً يحمل مسدسسات على أية حال؟. كنت أعتقد أنك أذكى من ذلك!

إلى أين ذاهبة الآن؟

يجب أن أستعد للذهاب إلى العمل.

كم الوقت عندكم؟

نحن متقدمون عليكم بساعة.

تعملين في الليل؟

نعم. أنا جرسونة.أحب ذلك. أنام طيلة النهار.

يجب أن تعودي إلى البيت.

ربما.

أنت لا تنتمين إلى هناك. ماذا يوجد هناك على أية حال؟

مجرد فضاء... أعتقد.

لدينا هذا هنا... يوجد فضاء هنا.

ليس كالذي هنا.

لا تغيري اسمك، مهما فعلتِ. إنها خطيئة أن تفعلي ذلك.

يجب أن أذهب ماما.

أرجوك لا تغيري اسمك.

مؤقتاً فقط.

# نومافيدا ماثياني

ولدت نومافيدا ماثياني عام ١٩٤٤ في سويتو في جنوب افريقيا، حيث تستقر هناك مع أطفالها. عملت صحفية في عدة صحف مثل (ذي ورلد)، (ذي فويس)، (فرونت لاين) و(ذي ستار) في جوهانسبرج. مجموعتها (خلف الأنباء) ضمت عدداً من كتاباتها الحديثة المهمة. وحالياً تعمل في معهد التعددية الديمقراطي في دوربان. كان ظهورها الأول ككاتبة مبدعة عام ١٩٩٠ عندما نشرت (آلام العمال) وأعمالاً أخرى في الهيبوغريف للكتابات الجديدة.

يتميز اسلوب الكاتبة بالسلاسة وباسقاطاتها المباشرة للفكرة التي تطرحها على الحدث اليومي البسيط، وهي غالباً تدور في فلك الصراع الافريقي ضد حكومة الفصل العنصري.

# آلام الطَلَق

صعدت إلى الميني باص وجلست بجوار سيدة حامل، بدت مثالاً للعافية. جلستْ هناك متظاهرةً بالرزانة والحشمة، مبدية سعادتها بحالتها الصحية الجيدة، للحظة حسدتها على سعادتها ورضاها عن صحتها، وتمنيت لها الخير.

مضى الباص وهو يلتقط الناس على امتداد الخط. وفي غضون لحظات قليلة كان قد امتلأ وتابع طريقه إلى المدينة. كنت قد نسيتُ جارتي عندما وكزتني برفق هامسةً: "أشعر ببعض الآلام". تحركتْ قليلاً إلى الأمام ووازنت جلستها مسندة يدها إلى ردفها.

أطبقتُ المجلة التي أقرأ بها وأنا أنظر في وجهها، من دون أن أعرف عن ماذا كنتُ أبحث، لكني لم أجده. نظرتُ إلى ساعتي، كما تفعل القابلات، كانت السابعة والنصف صباحاً. اقتربت منها وسألتها عن موعد الولادة المتوقع، فغمغمت: "الشهر القادم". سألتها فيما إذا كان هذا حملها الأول، فقالت إنه الثاني، ثم مضينا بالدردشة في موضوعات مختلفة عن الحمل والأطفال وما شابه.

بعد عشر دقائق، بدأت تتلوى من الألم وهي تمسك ركبتها. خفتُ أن يحدث الأسوأ قريباً... أمسكت يدها وقلت لها أن لا تفزع، فستكون

قريباً في المدينة وسأطلب من السائق أن يأخذها إلى المستشفى. قلت لها أيضاً أن لا تقلق كثيراً، فربما يكون طلقاً كاذباً. شعرتُ بالارتياح، فقد كنت استخدم لغة القابلات ببراعة.

نوبة ألم أخرى. أمسكتْ يدي بقوة. نظرتُ حولي لأرى عدد السيدات في الباص- ثلاث. كان الباقي رجالاً، ثمانية مع السائق. وضعتْ يدها على الأرض وتقدمت إلى الأمام كما لو أنها تريد أن تأخذ مكاناً أوسع لتتنفس. رافعة يدها بينما تمسك ركبتها بالأخرى، بدت كأنها تعاني ألماً هائلاً. أشرتُ إلى احدى السيدات وأخبرتها بالمشكلة.

الرجل الذي يجلس أمامي فهم ما يجري من نظراتنا وغيّر مقعده لتحتله المرأة الأخرى التي كنت أنشد مساعدتها. لم يطرح أحد أي سؤال، بينما جلسنا نراقب المرأة تتلوى من الآلام. قطرات العرق كانت تجري على وجهها. يبدو أنها لم تعد واعية بما يجري حولها. الرجل الجالس إلى جانبي، نهض ليعطي مكانه للسيدة الأخرى. اربعتنا جلسنا هناك نتعذب. أحدهم أخبر السائق بما يجري فقلل سرعته. كان الهدوء يخيم على الباص الصغير. كنا وسط المجهول.

كنا ننظر بيأس إلى السيارات الأخرى تجتازنا، متسائلين عما يمكننا فعله لامرأة في حالة وضع. كنا في الطريق الخارجي السريع إلى المدينة، عندما انتقل السائق فجأة إلى يسار الشارع عابراً الخط الأصفر، ثم وقف الباص. احدى السيدات بدأت تضغط على بطن المرأة الحامل بينما أحدهم اقترح أن نوقف السيارات المارة ونسألهم أن يتصلوا بالاسعاف. فذهب السائق طالباً المساعدة في هذا الأمر.

لم يكن الرجال في المقعد الخلفي ينظرون لما يجرى ، مع ذلك فإن

الأسى كان مرسوماً فوق وجوههم. كم بقي لها؟ كانت وجوههم تتساءل، أو، هل يمكنكم تسهيل العملية لها؟. بقينا هناك، مدركين الكفاح الذي بينها وبين الطفل، الذي صرنا جزءاً منه. احدى السيدات القت نظرة خاطفة ما بين ساقي المرأة الحامل وقالت: "سينزل الطفل خلال ثوانٍ". كانت المرآة تتألم وتتضرع بصوت عالٍ. كانت أعصابنا على وشك الإنهيار. ظلت السيدة تمسح على بطن المرأة بينما كنا نحن نصلي لها.

ثم صرخت. إحدى السيدات الكبيرة في العمر ألقت نظرة ما بين ساقي المرأة وقالت: "تعال الآن، يا صغيري، هيا... ادفعي". أمسكت المرأة بايدينا وبدأت تدفع. كنا غير واعين للازدحام في الخارج بينما أيدينا مشغولة، وأذهاننا وأرواحنا. شعرت بالعرق يسيل على جبهتي وظهري. أمسكتُ يديها بقوة بينما هي تتشبث بيدي. كانت تتعرق بكثرة، تتلوى وتعصر بكل قوتها وبدأ الطفل يخرج. بدا الأمر كما لو أننا نشاهد فيلماً سينمائياً، وكنا نحن جزءاً منه في نفس الوقت، بينما كان رأس الطفل يخرج ببطء، ثم كتفاه ثم.... واووو!. لقد خرجت الساقان، أمسكت به احدى السيدات وقلبته عمودياً وصفعته بلطف، فأطلق هذا الشيء الصغير صرخة مدوية. والآن انتهى كل شيء.

فكرت في ذلك الصباح، وقد مضت سنوات عديدة، عندما توقفت حياة العديد من الغرباء تماماً. فكرت بألم الولادة، المخاض الذي باغت المرأة، وانغمر فيه البقية تدريجياً. ما زلت أحمل تلك الصورة في ذهني... كيف امتدت الأيادي متشابكة لمساعدتها بينما هي تتلوى من الألم. تضرعنا معها، وعانينا معها.

أليس غريباً أن أحداً منا، عندما صعدنا إلى الباص وكل واحد

مشغول البال بوجهته، لم تخطر له على الاطلاق أن يحصل له ما حصل؟ كيف لنا أن نعرف أننا سنكون جزءاً مهما مما حدث؟ أليس صحيحاً لو كنا سُئلْنا ونحن نصعد الباص ما إذا كنا نريد المشاركة في تجربة كهذه، كنا سنرفض؟ لكننا ساهمنا بها فعلاً. كان مقدراً لنا أن نشهد حالة ولادة بتلك الصورة وذلك الوقت.

ولادة طفل هي حالة فريدة ومتميزة في حياة كل امرأة. وكل طفل له طريقه وطريقته التي يختلف بها عن الأطفال الآخرين. ربما يولدون لنفس المرأة لكن الظروف ليست واحدة. بعضها تأخذ أياماً، بينما بعضها تتم في دقائق. من يحدد ذلك؟ إنه كفاح، لا أحد يستطيع تحديد أو تقرير الشكل والطريقة، أو المدة التي سيأخذها.

لقد عشت بالكفاح كل حياتي، حتى قبل أن أدرك معناه. سمعت عن كفاح يعلنه الرجال في العمل. سمعت نساء يذكرن الكفاح وهنّ يؤدين أعمال البيت الروتينية. بالنسبة لي، صار الكفاح مرادفاً للتحرير. "عندما ينتهي الكفاح.... "، كنت اسمع عنه وأنا صغيرة، عندما كان كان جومو كينياتا يقاتل الانكليز في كينيا. سمعته عندما كان كوامي نكروما يقود شعبه الى الاستقلال في غانا وسمعته أيضاً عندما نُفي الى الخارج. كنت أسمعه أيضاً عند محاكمة ريفونيا الذي أعقبه مغادرة عدد كبير من الناس البلد.

سمعته عدة مرات وأنا أكبر وأكبر. في البداية لم أكن أهتم كثيراً عندما كان المكافحون يُعتقلون أو يُقتلون واحداً بعد آخر. حزنّا لأجلهم، كنا نعرف ونتمنى أن تنتهي تلك الأشياء البغيضة. تدريجياً، مثل شبكة انجر الناس اليها ببطء. لم يعد مانديلا فقط، او سوبوكو في روبن

آيلاند* بعد الآن. فقد أتى عام ١٩٧٦ ثم ولّى. وربما كان مقدمة الآلام. ربما كان الطلق الكاذب. نظرت القابلات الى ساعاتهن، غمغمن بصوت خافت ثم عُدنَ الى غرف الانتظار، يواصلن حبك التقرير عن تطور حالة المريضة.

كن منهمكات في عملهن: في الحياكة والحبك والحديث عن عوائلهن أو مناقشة حالة المريضات. من يهتم؟. "تلك المرأة في السرير رقم ٥ ستبقى هنا لأيام"، قلن. لكن المرأة في السرير رقم ٥ لم ترقد هناك للراحة والاستجمام في سرير المستشفى. فاللحظة الحاسمة وشيكة، حيث سيتوقف كل شيء وتبدأ معاناة الطلق. انها مسألة دقائق، قبل أن يأتي الأطباء والممرضات، والمعارف أيضاً، ليشهدوا تلك الحادثة المدهشة في جلب حياة جديدة لهذا العالم. انها مسألة وقت.

خلال فترة حكم كارتر، زار جنوب أفريقيا عدد من أعضاء الكونغرس السود. وفي جلسة عشاء غير رسمية على شرفهم لدى أحد الناشطين الذي تحدث بالطبع عن موضوع استقلال جنوب افريقيا، أُثيرت عدة أسئلة، وإجابات، عن الموضوع. ثم سأل أحد الامريكيين، وهو عضو الكونغرس ويليام غراي: "لكن هل أنتم السود مستعدون لذلك؟"، كان السؤال مغلفاً بعنجهية وغطرسة، نموذجاً لكل الأدعياء المزيفين، فقد أطلق بذاك صافرة سريعة مؤداها أن المريضة لا تزال بعيدة جداً عن موعد الولادة. لكن زعيم سوتيو** السيد موسالا، وبطريقته الذكية ولباقته أنقذ الليلة. "هل المرأة الحامل تأخذ موعداً مع الطفل ليولد؟"، سأل. مع

---

* معتقل معروف في كيب تاون في جنوب أفريقيا .

** مدينة في جنوب أفريقيا شهدت اضطرابات عنيفة إبان حكومة الفصل العنصري .

ان المرأة ربما تستطيع ان تعرف ذلك عندما تحمل، لكن لا يمكنها أبداً معرفة كيف ومتى بالتحديد سيولد الطفل، كيف اذاً، يقول أحدٌ ما للناس "استعدوا، مجتمع جديد سيولد"؟

المجتمع الجديد لا يولد بلمسة ساحر. انه ينمو بطريقته الخاصة. هو من يحدد سرعته في النمو. يأخذ شكله وفقاً لحاجته هو. بالنسبة لبعض البلدان كانت الفترة أقصر بكثير. بالنسبة لنا، يبدو انها ستأخذ دهوراً. هل يمكن أن تكون تلك آلاماً لمخاض حقيقي، أم مجرد طلق كاذب، برؤية المجتمع الجنوب أفريقي مفتتاً، وأطفالنا يصيرون غرباء عنا، عن ثقافتنا، عن تقاليدنا؟

سواء كان الطلق كاذباً أم حقيقياً، فالحقيقة، ان شيئاً ما بدأ يحدث فعلاً. مجتمع جديد في طور الولادة، وكلنا صرنا نتعرق، نجتهد، وندفع.

لقد صار الوضع لا يحتمل بالنسبة للأفراد. اولئك الذين يحلمون بأفكار التطوير. اعتقلوا، غادروا البلد، بينما البقية رفضوا حتى التحدث عن ذلك. مهندسو التحرير واصلوا، بينما سقط بعضهم على جانب الطريق.

وبعد، فالبذرة الموجودة في الرحم، تواصل النمو. البعض يتقلب بقلق وألم. والآخرون يراقبون مظاهر التغيير في المجتمع بلا مبالاة. وقريباً ستتشابك الأيادي الواحدة تلو الأخرى.

# أحمد إيسَوب

ولد أحمد إيسوب في الهند عام ، ١٩٣١ بعد حصوله على ليسانس الآداب، قام بالتدريس في مدارس خاصة في جوهانسبرغ لغاية عام ١٩٧٤ انتقل للعمل في المدارس الحكومية في ليناسيا حيث يعيش الآن وقد تفرغ للكتابة. كتابه الأول (الحاج وقصص أخرى) ظهر عام ١٩٧٨ ثم أعقبه بروايتين. ومنها بدأ يطلّ نجمه كواحد من أبرز كتّاب جنوب أفريقيا. صدر له بعد ذلك مجموعة قصصية بعنوان (نورجيهان وقصص أخرى) عام ١٩٩٠، وكانت هذه القصص تنشر تباعا في المجلات المتخصصة مثل ستافرايدر، كونتراست، و ذي انكليش أكاديمي ريفيو.

في كتاباته، لم ينفصل أحمد إيسوب عن بيئته الأولى الهند، ولم يبتعد أيضاً عن أحداث بلده الثاني (جنوب أفريقيا) الأليمة تحت اضطهاد الحكم العنصري، فيبدو حريصا على توظيف ثقافتي افريقيا والشرق معاً خصوصاً في النص التالي الذي نُشر للمرة الأولى عام ١٩٨٣ في ذي انكليش أكاديمي ريفيو.

# صورة شكسبير

عندما ذهبت للمرة الأولى الى العمل لدى تورس للديكور (خلال عطلة الجامعة الصيفية)، أخذني السيد وينترتون، المدير، في جولة حول الشركة وقدمني للموظفين. كان ذلك عندما قابلت دون كارليل، رئيسي المباشر في العمل. كان مرتدياً لباساً ملفتاً، قميصاً بنياً، ربطة عنق برونزية وعدداً من الأقلام بدت مثل سلسلة من الطواطم تنزل من جيب جاكيته العلوي.

كانت طبيعته هادئة ومزاجه رائقاً، شعره البني النظيف اللامع مصففاً بعناية فوق جبهته العالية. شاربه ولحيته الصغيرة مشذبان بحرص. كنتُ مأخوذاً بشبهه الكبير بصور شكسبير التي تزين أغلفة العديد من مسرحياته. كانت نبرته لطيفة عندما قال "كيف حالك؟ أنا مسرور لانضمامك الينا لفترة"، فقد كان لصوته نبرة مصقولة ورخيمة مثل نبرة ممثل محترف.

بعد ذلك تطورت علاقتي به بسرعة وعرفته أكثر. كمشرف مسؤول، كان رائعاً. كان يطلب مستوى عالياً من الجودة في العمل من موظفيه الذين يصممون ديكورات لمنازل الأثرياء ومكاتب رجال الأعمال أصحاب الملايين في المدينة. كان جامعياً حاصلاً على درجة البكلاريوس في

الآداب. كان حينها طالباً بارعاً في الأدب الحديث. كنتُ أصغي بشغف لما يقول عن بعض الكتّاب الذين أُعجبَ بأعمالهم.

"أحد أفضل الكتاب عندي هو أف. أس. نيباول" قال لي مرة أثناء فرصة الغداء في المطعم. "هل قرأت شيئاً من أعماله؟"

"معظمها"

"أعماله الأولى، نعم، لكني أعتقد ان عمله الأخير في أفريقيا يعاني من كونه لا يستند الى قاعدة"

"لا، أبداً. أعتقد انه محلل ومراقب ممتاز لأفريقيا ما بعد الكولونيالية، سقوطها في الفوضى، الانهيار، التدهور، الاستبداد ..."

تركته يستمر في الحديث ثم سألته لماذا لم يتخذ مهنة أكاديمية.

"وأعيش من صندوق الاعانات؟" سأل، ثم مسح فمه بأناقة بمحرمة المائدة.

هذا صحيح. فالأكاديميون لا يملكون قوة اتحاد التجارة، الذي صار اتحاداً فاعلاً وذا سلطة متنفذة.

مع مرور الأيام، تنوعت محادثاتنا لتغطي مجالات مختلفة. دون كارليل، بدا لي مثالاً للحضارة والثقافة الغربية. في الأدب، التاريخ، الموسيقى، السينما، المسرح، كان يظهر براعة ومستوى ثقافياً رفيعاً. مع ان معلوماته في الثقافة الافريقية والشرقية كانت سطحية، لكن دراسة مثل هذه الأمور غير متاحة في معاهد التعليم الأوربية في البلد.

في السياسة، كان مثقفاً جداً وليبرالياً في طرح آرائه. "المساواة في التعليم، وتكافؤ الفرص، يجب أن يكونا هدفاً لمجتمع عقلاني. لكن لا اعتقد اننا يجب أن نتحول اليها الآن"

"متى يجب أن نتحول اليها ؟"

"عندما يتعلم كل فرد، فيستطيع تجربة مسؤولية التصويت"

"سيأخذ هذا وقتاً طويلاً. أنا واثق من ان الطبقة الارستقراطية الحاكمة تريد الاستمتاع بثروات البلد دون أن يشاركها أحد في ذلك"

"هذا مؤسف"

كان هناك مشرفون آخرون في الشركة، لكن اتضح لي بسرعة ان دون كارليل كان يطمح الى منصب مدير مفوض في الشركة في يوم ما. هو يستحق هذا المنصب لكونه المشيد الأساسي لسمعة الشركة في المدينة. ليس فقط لاستثمار معلوماته في كل مجالات التصميم والديكور الداخلي بشكل ناجح جداً، انما أيضاً لأنه لم يغادر ابداً مكتبه في وقت انتهاء الدوام، فكان يبقى لانهاء "بعض النثريات"، وكان يصل في الصباح الى مكتبه قبل الأخرين بنصف ساعة. واذا ما عُقد اجتماع للمشرفين مع موظفي الشركة، يكون هو قد أعدّ بعناية جدول الأعمال والأمور المقرر مناقشتها، بكفاءة وذوق وانسجام عاليين.

بعد شهر، سافر المدير الى نيويورك في رحلة عمل، وترك دون كارليل يدير الشركة. انتهت نقاشاتنا. بالطبع هو يتحدث معي بخصوص العمل، وأستشيره في بعض الأمور عند الحاجة. حدث في احدى المرات، ان ذهبت صدفة الى مكتبه، فرأيت شيئاً قلب كل فكرتي عن هذا الرجل.

لم يكن في مكتبه. لكني لاحظت رسالة كانت لا تزال على الآلة الطابعة، ولاعتقادي انه سيعود في أي لحظة لاكمالها، دخلتُ الى المكتب. نظرت الى اللوحة المعلقة على الجدار، صورة سفينة هنري الثامن، ماري روز المشؤومة، للحظة وقعت عيناي مرة أخرى على تلك الرسالة، التي كانت

موجهة الى السيد ونترتون في نيويورك. لا أعرف ما الذي جعلني أقرأ بعضاً من محتوى الرسالة. ربما كانت لمحة سريعة بالخطأ، ربما اكتسبت بعضاً من صفات موظفي المكاتب بالاطلاع على كل الرسائل، وربما لأن عينيي جُذبتا لهذا البوح:"أنا أشك في أن الخادمة جين تسرق السكر من المخزن، فالكثير منه نفد، بسرعة أكثر من السابق، ربما كانت تسرق السكر (ومن يدري ماذا أيضاً) على مدى السنين".

رجعتُ الى مكتبي، مملوءاً بالاحساس بالخيبة. مرتبكاً ومشوشاً بعمق. أسئلة عديدة قفزت الى ذهني. كيف يمكن لرجل مثقف أن يرتكب عملاً خسيساً كهذا؟ هل يريد أن يعطي المدير انطباعاً عن حرصه ورعايته للشركة؟ هل طموحه في أن يكون مديراً مفوضاً حثّه على استخدام جين لعبةً لتحقيق مآربه؟ تذكرت روزينكرانتز وهو يقول لهاملت: "هل تريد أن تستخدمني كلعبة" وهاملت يجيبه: "نعم، فهذا ما يشبع عظمة الملك". فهل كتب دون كارليل ذلك عن الخادمة البيضاء؟ مقولة مارسيلوس لهوراتيو من على شرفة قلعة ألسينور أيضاً قفزت الى ذهني: "شئٌ ما يفسد في الدنمارك".

بعد ظهر نفس اليوم، أتتني جين بالشاي وسالتني فيما اذا كان لدي أي رسائل لتأخذها معها (فنقل الرسائل الى مكتب البريد كان أحد مهامها اليومية أيضاً). قلت لا، ثم وبسرعة قلت :"جين، انا سأخرج لمقابلة صديق لفترة قصيرة، فاذا كان لديك اية رسائل سآخذها في طريقي".

ذهبت ثم عادت ببعض الرسائل. رأيت تلك الرسالة من بينها. للحظة عبرت ذهني صورة باهتة لدون كارليل، على خشبة المسرح، يربت على كتف جين وهو يسلمها تلك الرسالة اللعينة. فكرت بهاملت وكيف أرسل روزينكرانتز و غلدينستيرن الى حتفهما:

"عالياً من فوق مقصورتي
ملتفعاً بعباءتي، في الظلام
تلمست طريقي لأجدها، لأجد بغيتي
وأضع يدي على تلك الرزمة..."

راودتني الرغبة بفتح الرسالة واضافة شيءٍ ما في آخرها بحيث يصرف نظر السيد وينترتون عن دون كارليل نهائيا، لكن، طالما أنني لست متورطاً بالموضوع شخصياً، فقد قررت أن لا أفعل.

أرسلتُ كل الرسائل عدا رسالة دون كارليل. عندما مررت بجانب صندوق الزبالة المربوط بعمود الانارة في الشارع. توقفت، مزقت الرسالة وقذفتها اليه.

# الفهرس


| | |
|---|---|
| مقدمة بقلم المترجمة | 5 |
| **إيفلين لو** | 7 |
| زجاج | 9 |
| **غريس بيلي** | 15 |
| أمّ | 17 |
| الرجل الذي أخبرني قصة حياته | 19 |
| في هذا البلد، لكن بلغة أخرى، عمتي ترفض الزواج من الرجال الذين يريد الآخرون أن تتزوجَ منهم | 21 |
| **ساندرا سينيروس** | 23 |
| صديقتي لوسي التي تفوح منها رائحة الذُرة | 25 |
| **كيث فريزر** | 29 |
| قاموس روجيه | 31 |
| **روث توماس** | 35 |
| ثعلب جميل | 37 |
| **اكتافيو باز** | 43 |
| باقة زرقاء | 45 |

**بول ثيرو** 49
الكلمات صكوك 51
**جون شيفر** 61
لقاء عائلي 63
**رايموند كارفر** 69
شيءٌ واحدٌ آخر 71
لماذا، يا حبيبي؟ 77
**جون ماكْيرن** 85
كوريـا 87
**كليندا آدمز** 95
كـذبــات 97
**إيفان فلاديسلافيتش** 105
يوم قتلوا رئيس الوزراء 107
**سام شيبَرد** 117
أيام العتمة 119
مجرد فضاء 123
**نومافيدا ماثياني** 127
آلام الطَلق 129
**أحمد إيسوب** 135
صورة شكسبير 137